

K

PJ
7755
.T8
.L3
C.1

NEA

BOBST LIBRARY



3 1142 02886 0073



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

على جواد الطاهر



لَا مِثْرَ الطُّغْرَانِي



Lāmiyat al-Tuḡhrā'ī.

على جواد الطاهر

al-Tuḡhrā'ī, al-Husāyn ibn 'Alī,



NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

لامية الطاهري

بغداد - ١٩٦٢

مطبعة العاني

Near East

PJ

7755

.T8

.L3

c.1

مقدمة

عرفت الطغرائي عام ١٩٤٣ ، ولم أنسه بعد ذلك ، ولم أفارقه في القاهرة أو باريس . وكان ركنًا مهمًا من أطروحتي الرئيسة في « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » .

حتى إذا كانت المناقشة في السوربون (شباط ١٩٥٤) لاحظ الأستاذ شارل بللا - أحد المناقشين - أن الأطروحة تذكر لامية الطغرائي وتشيد بها هنا وهناك دون أن تخصصها بحث مستقل مسهب . والملاحظة صحيحة ، فما جاء عن اللامية في الأطروحة لا يفيد حقها ولا يطلع القارئ على حقيقتها ولا يذكر نصها ولا يشرحها ويحللها ويناقش الآراء فيها .

وكتب لي بعد ذلك أن أدرس هذه اللامية في دار المعلمين العالية وكلية الآداب ببغداد فاطلعت على جوانب مجهولة منها ووقفت على أسرار من جمالها ومعلومات جديدة بحث مستقل ، وازدادت إيمانا بصحة رأي الأستاذ بللا .

وهناذا أحاول أن أقدم هذه الدراية في التحقيق والتحليل - راجيا ألا تكون الأخيرة في بابها .

في عام ٤٤٧ هـ دخل طغرل بك السلجوقي بغداد ، وقضى بذلك على
 البويهيين ، ودخلت في ملكه رقعة واسعة قوامها العراق وبلاد العجم .
 وتوفي عام ٤٥٥ فتولى بعده السلطنة من آل سلجوق :

٤٦٥ - ٤٥٥	الب أرسلان
٤٨٥ - ٤٦٥	ملكشاه
٤٨٧ - ٤٨٥	محمود بن ملكشاه
٤٩٨ - ٤٨٧	بركياروق
٥١١ - ٤٩٨	محمد
٥٢٥ - ٥١١	محمود

ولم يتخذ السلاجقة بغداد عاصمة لهم ، وان أقام أكثرهم فيها مددا
 محدودة ، ويمكن القول ان مقرهم كان في أصبهان .

وكانت الوزارة منصبا مرموقا في الدولة ، وقد يمسك الوزير ، اذا
 كان كبيرا ، بمهام الدولة كلها .

وتبلي الوزارة الدواوين : الاستيفاء ، الاشراف ، الانشاء والطغراء .
 والطغرائي هو صاحب الطغراء - وهي « الطرة التي تكتب في أعلى المناشير
 فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب
 عنه »^(١) . ويضم ديوان الطغراء : الرسائل والانشاء ويتولى صاحبه

(١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ؛ ياقوت ١٠ : ٥٧ ؛ دائرة المعارف
 الاسلامية ، مادة طغراء . - واللفظة اعجمية محرفة من الطرة « وفي ابن
 جماعة انها علامة تكتب على التوقيعات .

شؤون الوزارة في الصيد (٢) •

عاصر هؤلاء السلاجقة من خلفاء بني العباس :

القائم ٤٢٢ - ٤٦٧

المقتدي ٤٦٧ - ٤٨٧

المستظهر ٤٨٧ - ٥١٢

المسترشد ٥١٢ - ٥٢٩ •••

وبغداد هي مقر الخلافة ، وسلطة الخليفة دينية فقط ، والسلطين يرفعونه ويتظاهرون باحترامه ، ولكنهم لا يتورعون من مخالفة أمره أو اهانتة اذا اقتضت مصلحتهم • فلم يكن للخليفة الا الاسم « لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنباه » • وربما حانت للخليفة فرصة او كان له حظ من الطماح فتململ كما حدث للمستظهر يوما ما ، أو كما أعلنها المسترشد حربا على السلطان ••

وتألف حاشية الخليفة من الوزير وكاتب الانشاء وصاحب المخزن وكاتب الزمام واستاذ الدار •• (٣)

في هذا العصر عاش الطغرائي

وهو أبو اسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي بن عبدالصمد المشهور

بالطغرائي (٤) •

ولد عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، في جبي من أصبهان في أسرة من ولد

أبي الاسود الدؤلي (٥) •

(٢) الاصبهاني ، النصر ، البنداري ، الزبدة ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ،

(٣) للتوسع في هذه المقدمة ينظر الطاهر في « المدخل » من كتاب

الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ١ : ٣٩ - ٧٠ •

(٤) فصل المؤلف حياة الطغرائي ومصادر دراسته في كتابه

« الشعر العربي •• في العصر السلجوقي » ، وتنظر مقالته عنه في المجلد

السادس من مجلة « الاستاذ » ، وفي العدد الاول من مجلة « كلية الآداب » •

وينظر الوهابي ٣ : ١٣١ - ١٣٣ ، آقا بزرك ص ٦٤٨ - ٦٤٩ •

(٥) وزاد العماد : « قال والدي هو نسيبنا من قبل الاخوال » •

وقد ألم بمعارف عصره ، وقال الشعر ، وأحس في نفسه طمaha الى
المناصب فانخرط في سلك الكتاب يتقرب من المتنفذين والوزراء كمعين الملك
ونظام الملك ، ودلف الى السلاطين فخدم ملكشاه ، ثم ولده محمدا .

وبعد أن تقلب في حلو العيش ومره أصبح نائبا في ديوان الطغراء في
وزارة الخطير . حتى اذا توفي الطغرائي الاصيل عام ٥٠٥ جلس مؤيدالدين
مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء . « ولم يكن للدولتين السلجوقية
والامامية من يضايه في الترسل والانشاء^(٦) » .

ولا شك انه ابتهج كثيرا للمنصب الذي هو أهله ، والذي حقق
به هدفا طالما سعى اليه ، فهو يطمع بالصدارة ولا يرضى لنفسه أن يبقى كاتباً
بين كتاب كثيرين ، أو نائبا يعيش ظلا لغيره . ثم انه لا يسعى الى ديوان
الطغراء من أجل ديوان الطغراء ، ان هذا لا يكفيه ، وما هو الا مرحلة تقربه
من الهدف الابعد .

ولم يكن في افكاره تلك بالخيالي الذي يطلب ما ليس له او يزحم
انسانا بعيدا عنه . انه في الثانية والخمسين وقد رأى كثيرا ، ويكفيه انه
رأى نظام الملك ، ولم يبق في المعاصرين مثل نظام الملك كى يحترمه ويكبره
وكى يحد من مطمحه . ليس هؤلاء القابضون على أزمة الدواوين أقدم منه
أو أقدر أو أجل . وليس هذا المتربع على دست الوزارة والملقب « بالخطير »
أفضل منه . ان الخطير لا يزيد عن « جبة وعمامة »^(٧) بينما مثل الطغرائي
الخبرة والعلم والفضل .

والسلطان محمد لم يكن بذلك السلطان الذي رآه يوم حكم الب ارسلان
أو ملكشاه .

ان من حق الطغرائي ان يطمح ، وان يسعى الى الوزارة ، لانه يريد

(٦) علي رضائي عن العماد ، ياقوت ١٠ : ٥٨ . وروى علي رضائي
انه « تولى الاستيفاء » . وفي التعليقة ما يدل على ان السلطان محمد ولاء
اشراف المملكة في بعض الاوقات .
(٧) ديوان الطغرائي ١٢٨ .

أن يحقق ذاته وأن يحكم وأن يصول ويجول •
 وطبيعي أن تنعكس هذه الأفكار على سلوكه ، وطبيعي أن يحس بها
 الصدور فيتبعوا حركاته وسكناته ، ويفسروا كل تأمة ، ويحسدوا ويحقدوا
 ويشوهوا الحقائق ويختلفوا الأباطيل ، ويصبح دينهم ازاحة الطغرائي عن
 طريقهم ، والاستعانة في سبيل تلك الغاية بكل وسيلة •
 وها هم اولاء يقتربون من غايتهم ، ويغيرون عليه قلب السلطان ،
 ويؤلبون اللؤماء ، ويحدون من كلمته ويحطون من مكانته ، فلم يبق له ذلك
 الاسم ، ولم يعد له ذلك النفوذ ولقد بات في هم وقلق وبين أقدام واحجام ،
 وماذا عساه أن يفعل ازاء طغمة ألفت الدسائس واستسهلت الكذب • أبقى في
 منصبه ، والمنصب عزيز عليه اثير لديه ؟ ولكن ما قيمة هذا المنصب الذي
 جرد من روحه • أيعتزل ؟؟ :

أبي الله ان اسمو بغير فضائي
 وان كرمت قبلي اوائل اسرتي
 يذم لاجلي المهر ان يكب مرة
 وما منصب الا وقدري فوقه
 اذا شرفت نفس الفتى زاد قدره
 اذ ما سما بالمال كل مسود
 فاني بحمد الله مبدأ سؤددي
 بجدي وان ينهض بجدي يحمد
 ولو حظ رحلي بين نسر وفرقد
 على كل اسنى منه ذكرا وأمجد
 * * *

تكاد ترى من لا يقاس نجاده
 وما المال الا عارة مستردة
 وان اناسا صرت جار بيوتهم
 يسر بقربى منهم كل أصيد
 واصحب منهم سائسا غير حازم
 اذا لم يكن لي في الولاية بسطة
 ولا كان لي حكم مطاع أجزه
 ولم بغش بابي موكب بعد موكب
 فأروح من هذا اعتزال يصونتي
 بشسعي اذا ما ضمنا صدر مشهد
 فهلا بفضل كاثروني ومحتدي
 عبايد شذر فصلت بزبرجد
 ويكره كوني منهم كل أنكد
 واتبع منهم غاويا غير مهتد
 يطول بها باعي وتسطو بها يدي
 فارغم اعدائي واكتب حسدي
 مخافة ايعاد وتأميل موعد
 صيانة مطرور الغراين مغمد

فأعذر ان قصرت في حق مجتد
أأكفي ولا أكفي وتلك غضاضة
ولولا تكاليف العلى ومغارم
لأعطيت نفسى فى التخلى مرادها
من الحزم أن لا يضجر المرء بالذى
إذا جلدي فى الامر خان ولم يعن

أنا لثفتة حارة صدرت عن أعماق صدر تمور به المطامع وتصطرع
فى جنباته الرغبات وتكتفه ظروف عصبية ؛ تدفعه حينا الى الفخر والكبرياء
واعلان كنوز شخصيته ، وترغمه طورا الى هجو أعدائه وتعرية ما فى
نفوسهم من حقد ورخص وحطة .. وهو بين أخذ ورد ، حتى ليكاد يقبل
ضيفا ، ثم لا يلبث أن يعود الى كرامته ومكاته فيضطرم ويثور .. ثم يحاول
أن يهدأ ويتجلد و « يفلسف » الاحوال ؛ فما زالت فيه بقية من أمل ، وما
كان لرجل يعرف بالطغرائى أن يستسلم بسير .

هو فى بغداد ليس بأسعد حفلا مما كان عليه فى
أصفهان . ولم يجد عند الخليفة (المستظهر) ما كان يتنظر ، وحتى ما يمكن
أن يكون جزاء على فضل سابق وخدمة سابقة . ومثل الخليفة حاشيته .
وليس من السهل على الخلافة أن تختص رجلا لم ترض عنه السلطنة .
واذن فقد وقعت الواقعة

وعزل الطغرائى من ديوانه عام (٥٠٥) ، وتلك مصيبة عظيمة
ومضاعفة ، فلقد خسر الديوان فى الوقت الذى كان يحدث نفسه بالوزارة .
وهذا صميم دافع حدها الى نظم قصيدتين طويلتين عامرتين : بائية
ولامية .

وفى البائية (٩) :

أهاب به داعى الهوى فأجابا وعاروده نكس الصبا فتصابى

(٨) الطغرائى ، ديوانه ، ٥٩ .

(٩) نفسه ٥٦ - ٥٨ .

بعد مقطع غزلى يعلن هجر العراق :
مللت نوائى بالعراق وملئى رفاقي وكانوا بالعراق طرابا
وبين خيانة الصحاب اياه ، ويذم أهله وتقلبهم ، ويعتب على الخلافة ،
ويحاسب شخصا اسمه « زريق » • ثم يتذكر بلاده :

لعمرك ما فارقت ربي عن قلى ولا رضيت نفسي سواه ما آبا
ولكن تكاليف السيادة جمعت برحلي ودهر بالحوادث رابا
وأما اللامية فهي :

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الحلم زانتي لدى العطل
وقد قالها فى العام (٥٠٥) نفسه ، وأفرغ فيها كل ما كان يخامره من
مشاعر وأفكار ، ولا شك أنه أعجب بها ، وارتاح اليها ، وقرأها
واستعادها وظل يرويها للمقربين أمثال الشهرزورى وابن الشجرى وابن
الاخوة ، والمعجون حوله يستعيدونها و « يتراوونها » (١٠) •

ثم جمع ديوانه (١١) بنفسه فكانت اللامية بارزة فيه ، وذكرها نصاً
المؤلفون الذين أفاضوا فى ترجمة الطغرائى من أمثال العماد وياقوت وابن
خلكان ثم جاء الصفدى فأفاض فى شرحها وأطال •

وانا اليوم ، كى ندرس نص اللامية جيداً لا بد لنا من اثبات أصح نص
وبيان الاختلافات التى طرأت عليها • وبمعنى أدق : لا بد من تحقيق القصيدة
تحقيقاً علمياً • وقد اعتمدنا لذلك المصادر الآتية - المينة رموزها ازاءها :

ل - مخطوطة ديوان الطغرائى المحفوظة فى المتحف البريطانى بلندن •
رقم ٧٥٥٨ وهى انموذج لمجموعة النسخ التى تتبع فى نظامها
حروف الهجاء للقوافى • وتتص مقدمتها على ان الذى جمعها

(١٠) ابن جماعة •

(١١) الطاهر ، الشعر العربى ٩٧ - ٩٩ (ولم يرد هناك كلام على

نسخة راغب باشا) •

هو الشاعر نفسه •

غ - مخطوطة ديوان الطغرائي ، نسخة راغب باشا المحفوظة بمكتبة

استانبول رقم ١١٠٧ ، وقع اللامية بين الورقة ٥٢-٥٥ منها •

وهي نموذج لمجموعة النسخ المرتبة على نظام يكاد يتبع طريقة

الموضوعات • ولعلها بوبت كذلك بعد وفاة الشاعر^(١٢) •

يا - النص الذي أورده ياقوت الحموي في كتاب « ارشاد الارب » ،

المعروف « بمعجم الادباء » • وقد اعتمدنا طبعة دار المأمون •

خ - النص الذي أورده ابن خلكان في « وفيات الاعيان » وقد اعتمدنا

طبعة مطبعة الوطن ١٨٩٩ •

ص - النص الذي عقد عليه الصفدي شرحه المسمى « الغيث المسجم

في شرح لامية العجم » والمطبوع عام ١٣٠٥ في القاهرة • وقد

أفدنا منه في المقابلة واقتبسنا للشرح •

أما الديوان المطبوع (الجوائب ١٣٠٠) فلم نر ان نستشيريه ، لكثرة

أخطائه وتصحيحه ، ولم نشر اليه الا عند الضرورة القصوى^(١٣) •

(١٢) وقد يكون جامعها بعض احفاده (ينظر حاج خليفة :

الدواوين) •

(١٣) قال المرصفي ، ٢ : ٢٢٥ ، « وقد جمع شعره في ديوان وطبع

غير مرة ٠٠٠٠ » • ولا صحة لهذا القول • واكبر الظن ان محمد عبدالغنى

حسن حسب ص (١٤٩) طبع الجوائب طبع الشام •

أصالة الرأي صانتني عن الخطلِ
 وحلية الفضل ذاتني لدى العطلِ^(١)
 مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع^(٢)
 والشمس رادَ الضحي كالشمس في الطفَلِ^(٣)
 فيم الإقامة بالزوراءِ لاسكني بها « ولا ناقتي فيها ولا جملي »^(٤)
 ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد^(٥)
 كالسيف عُرِّي متناه عن الخليل^(٦)

-
- (١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ؛ العطل : في الاصل خلو جيد المرأة من القلائد ، وفي البيت تجريد الشاعر من المنصب .
 (٢) مجدي أخيراً ومجدي أولاً : قد يكون القصد ، مجدي بعد التعطيل وقبله ، وقد يكون ، مجد اسلافي ومجدي ؛ المعنى الاول أنسب . شرع : سواء . راد الضحي : شروق الشمس بعد طلوعها ، والرأد ارتفاعها .
 الطفل : قرب الغروب ، طفلت الشمس ، مالت الى الغروب ؛ والمقصود في البيت : الرأد أول النهار ، والطفل آخره .
 والمعنى : مجدي في الاول والآخر سواء ، كما ان الشمس هي الشمس في اول النهار وفي آخره .
 (٣) غ ، يا ، خ ، ص لاسكني : لا وطني ، ل . السكن : ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره .
 (٤) غ ، يا ، خ ، ص كالسيف . . عن : كالنصل . . س ، ل .
 متناه : المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ، وهما جانبا
 السيف . الخلل : جمع خلة ، والخلل بطائن كانت تعشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره .
 والمعنى : أصبحت كالسيف الذي جرد من حليته فلا تنظره العيون .

فلا صديقَ اليه مشتكى حزني ولا أنيسَ اليه منتهى جذلي^(٥)
 طال اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي ورحلها وقرى العسالة الذئبل^(٦)
 وضجَّ من لَغَبٍ نِضوي وعجَّ لما
 يلقي ركابي ، وليحَّ الركبُ في عدلي^(٧)
 أريد بسطةَ كفِّ أَسْتعينُ بها على قضاءِ حُقوقِ اللعلَى قِبَلِي^(٨)
 والدَّهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعي من الغنيمة بعد الكدِّ بالقفل^(٩)

(٢)

وذى شطاط كصدر الرمح معتقلٍ بمثله غير هبابٍ ولا وكيل^(١٠)

- (٥) صديق .. انيس شكلها ناشر ياقوت : صديق (بضمّتين) ..
 أنيس (بضمّتين) .. ل ، يا ، خ ، ص اليه منتهى : لديه ، غ .
 (٦) ل ، غ ، خ قرى : قرا ، يا . وشكلت في غ بكسر القاف .
 الراحلة : الناقة ؛ العسالة : واحدها عسال ، وهى الرماح ؛ قرى :
 اعلى السنان ؛ الذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح كأنه يصف
 الرماح بالخفة والدقة .
 طال اغترابي وامتد سفرى الى ان حنت راحلتي وحن رحلها وحننت
 أعالي رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار .
 (٧) النضو : البعير المهزول .
 (٨) ل ، غ للعلى : للعلل ، يا ، خ ، ص .
 بسطة كف : سعة فى المال .
 (٩) ل ، غ ، خ ، الكد : الجد ، يا .
 (١٠) ل ، ص ، بمثله : لثله غ ، يا ، خ .
 الشطاط : بالفتح والكسر اعتدال القامة (واختار ناشر ياقوت فتح
 الشين) . الاعتقال : هو ان يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه ؛ ومعتقل
 مجرور على انه صفة بعد صفة لذى . بمثله : جار ومجرور فى موضع نصب
 مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (بفتح اللام) . غير :
 مجرور على انها صفة لمعتقل (وقد شكلها محقق ياقوت بفتح الراء) .
 الوكل : العاجز الذى يتكل على غيره .

حلو الفكاهة مر الجذ قد مُزجت بقسوة البأس منه رقة الغزل^(١١)
 طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
 والليل أغرى سوام النوم بالمقل^(١٢)
 والركب ميل على الأكوار من طرب
 صاح ، وآخر من خمر الكرى تميل^(١٣)
 فقلت أدعوك للجلى لتنصرتي
 وأنت تخذلني في الحادث الجلل^(١٤)
 تمام عني وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبح الليل لم يحل^(١٥)

- (١١) حلو ٠٠ مر ٠٠ في الصفدى صفة لذى فى البيت الذى تقدم . وكذلك ورد شكلها فى غ . اما (ل) ومحقق (يا) فاختار الضم .
 غ ، يا ، خ ، ص مزجت ٠٠ منه : لعبت ٠٠ فيه ، ل . ل ، غ ، بقسوة : بشدة ، غ ، يا ، خ ، ص .
- (١٢) ورد بكسر الواو ، وجاءت بالفتح فى ع ، يا . السرح : المال السائم . السوام : المال الراعى .
 منعه النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد اقبل بالنوم على العيون .
- (١٣) ل ، غ ، ص ، الكرى : الهوى ، يا ، خ .
 طرب بكسر الراءى فى (غ) ، وقال (ص) بكسر الراءى ، اسم فاعل هنا وليس مصدر ففتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى ، وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شىء ولم يتعلق بما يربطه ٠٠٠ وآخر معطوف على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف . ووردت طرب فى (ل) وعند محقق ياقوت بفتح الراء ، ووردت آخر فى (غ) ويا بضم الراء .
- ميل : جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرح . والطرب : خفة يلحق الانسان لشدة حزن أو سرور . يقول الصفدى انه هنا يحتمل ان يكون من الفرح وان يكون من الحزن ، ولكنه الى الحزن اقرب لانه جاء فى سياق شدة السهر .
- (١٤) غ ، يا تخذلنى (بضم الذال : تخذلنى) بكسر الذال) ، ل . الجلى : الامر العظيم .
- (١٥) غ ، يا ، ص ، عنى : عينى ل ، خ . يا ، خ الليل : النجم ، ل ، غ .
 تستحيل : تتغير . الصبح بالفتح اللون وقد وردت كذلك فى غ ، ص . وفى ل ، يا بالكسر . وهو ما يصبغ به .

- فهل تُعِينُ على غَيِّ هَمَّتْ به والغبي يزجر أحيانا عن الفشل^(١٦)
 اني أريد طروقَ « الحى » من « اضم »
 وقد حماه رماة الحى من « ثعل »^(١٧)
 يحمون بالبيض والسمر اللدان به
 سودَ الغدائر حمرَ الحلى والحلل^(١٨)
 فالحبُّ حيث العدا والاسد رابضة
 حول الكناس لها غاب من الاسل^(٢٠)
 نؤم ناشئة « بالجزع » قد سُقيت
 نصالها بمياه الغنح والكحل^(٢١)

(١٦) ل ، يا ، خ ، ص ، يزجر : يصدف ، غ

الغى : الضلال . الفشل : الجبن .

هل لك ان تعين صاحبك على غي هم به ، فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن .

(١٧) غ ، يا ، خ ، ص ، الحى : الجزع ، ل . يا ، خ ، ص ، حماه :
 رماه ، ل : حمته ، غ . ل ، يا ، ص ، رماة : حماة ، ل . فى ل ، رماة
 الحى من ثعل ، وفى غ ، حماة الحى من ثعل . وفى يا ، خ ، ص : رماة من
 بنى ثعل .

اضم : جبل بارض المدينة . ثعل : أبو حى من طيء وهو ثعل بن
 عمرو . وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمي .

(١٨) غ ، يا ، خ ، ص ، به : بهم ، ل .

به : الضمير يعود الى الحى . الحلل : جمع حلة وهى البردة اليمانية ،
 والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .

(١٩) ل ، يا ، خ ، ص ، ذمام : ظلام ، غ . غ ، يا ، خ ، ص ،
 معتسفا فنفحة : مهتديا بنفحة ل .

معتسفا ، اعتسف مشى على غير طريق . الحلل : جمع حلة : بيوت
 القوم .

سر بنا فى ذمة الليل فانه يسترنا ، واعتسف لسير ولا تخش الضلال
 عن طريق الحى ، فان نفحة الطيب من اهله ترشدك الى الحلة التى هم بها
 نزول .

(٢٠) ل ، يا ، خ ، ص ، العدا : العدى ، غ

الكناس : موضع الظبي . الاسل : الرماح .

(٢١) الجزع : منعطف الوادى . النصال : جمع نصل وهو حديدة
 السيف والسهم . وهنا ، نصالها التى تحميها .

قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها
 ما بالكرائمِ من جُبِنَ ومن بَخَلَ (٢٢)
 تبتُ نارُ الهوى منهنَّ في كبدِ
 حرّى ، ونارِ القري منهن على القل (٢٣)
 يقتلنَّ أنضاءَ حبٍ لآحراكِ بها وينحرون كرامَ الخيلِ والابل (٢٤)
 يُشفى لذيغُ العوالي في بيوتهم بنهلة من غدِيرِ الخمرِ والعسل (٢٥)
 لعلَّ المامةَ « بالجزع » ثابتهً يدبُّ منها نسيمُ البرءِ في علي (٢٦)
 لا أكره الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ
 برشقة من نبالِ الأعينِ التُّجَل (٢٧)
 ولا أهابُ الصَّفاحَ البيضَ تُسعدُنِي
 باللمح من خللِ الأستارِ والكليل (٢٨)

(٢٢) ل ، يا ، ص ، طيب : غ ، طيب . ل ، بخل (بفتححتين) غ ،
 يا : بخل (بضمحتين) ل والجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء . . .
 برأى القدماء .

(٢٣) غ ، يا ، ص ، القل : قلل ، خ : قبل ، ل .
 نساء الحمى حسان ، ورجاله كرام .

(٢٤) بها ، ل ، غ ، خ : ص ، بهم : به ، يا . ل ، غ ، خ ، ص ،
 ينحرون : يختوين ، يا .
 انضاء : جمع نضو . .

(٢٥) غ ، يا ، خ ، ص ، العوالي : الغواني ، ل . ل بيوتهم :
 بيوتهم ، غ ، ومن الخطأ المطبعي في يا كسر الياء . غ ، يا ، خ ، ص .
 غدِير : لذيد ، ل .

ان الذي تطعنه الرجال بالرماح ، متى ارتشف شربة واحدة من ريق
 هذه الفتيات شفى .

(٢٦) غ ، يا ، خ ، ص ، علي : علل ل .

(٢٧) غ ، يا ، خ ، ص ، برشقة : برشفة ، ل : بردفة ، المطبوع .
 كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحمى لما اخذ يصفهم بالشجاعة
 والغيرة .

(٢٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الصفاح : صفاح ، ل . يا ، خ ، ص ،
 من خلل الاستار : من صفحات البيض ، ل ، غ .

تسعدني : تعينني . الخلل الفرجة بين الشيبين والجمع الخلال مثل
 جبل وجمال ، هكذا في الصفدى ، وقد فتح محقق ياقوت الخاء .

ولا أخيل^٢ بغزلان^١ أغازلها ولو دهنتي أسود الغيل بالغيل^(٣٠)

(٣)

حب^٣ السلامة يتني هم^٤ صاحبه

عن المعالي ويغري المرء بالكسل^(٣٠)

فإن جنحت^٥ إليه فاتخذ^٦ نفقا^٧

في الأرض أو سلما^٨ في الجو فاعتزل^(٣١)

ودع^٩ غمار^{١٠} العلي للمقد^{١١} مين على ركوبها ، واقتمع^{١٢} منهن^{١٣} بالبلل^(٣٢)

رضى^{١٤} الذليل بخفض^{١٥} العيش مسكنة^{١٦} والعز^{١٧} عند رسيم^{١٨} الاينق^{١٩} الذل^(٣٣)

(٢٩) ل ، غ ، ص ، اغازلها : تغازلني ، يا ، خ ، غ ، الغيل بالغيل :

الغيل (بفتح الغين) ل : الغيل بالغيل (بفتح الغين الاولى وكسر الثانية) يا .

(٣٠) ل ، غ ، يا ، خ ، ص ، هم^٤ : عزم يا (طبعة مار كوليوت) .

ان ملت الى حب السلامة فادخل في نفق في الارض أو اصعد في سلم

في الجو ، لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول

في النفق ولا الى الصعود في سلم في الجو ، اذ لا بد لك من الناس ، والسلامة

فيهم عزيزة - وفي هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز

المعالي ، لان السلامة ممتنعة ، فالاولى بالانسان الطلب والسعي الى المعالي .

(٣١) غ ، يا ، خ ، ص ، سلما : مصعدا ، ل ، غ ، ل ، يا ، ص ،

فاعتزل : واعتزل ، خ .

(٣٢) ل ، ص ، غ ، العلي : العلا ، يا ، خ .

غمار : جمع غمر وهو في الاصل الشدة والزحمة ، وفي الماء :

اللمج .

(٣٣) ص ، رضى ، خ ، رضا : يرضى ، غ ، ل ، يا . ص ، يا ، خ ،

مسكنة : يخفضه ، ل ، غ ، ع ، ل ، ص ، عند : تحت ، يا ، خ ؛ ص ، يا ،

خ ، الاينق : الاينق ، غ ، ل .

الرسيم : ضرب من سير الابل . في الاينق قال الصفدي : جمع الناقة

تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة

وخشب وقد جمعت في القلة على انوق ، ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو

فقدموها فقالوا اونوق . ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق .

فأدراً بها في نُحور اليَندِ جافلةً
 معارضاتٍ مثاني اللُجمِ بالجُدُلِ (٣٤)
 ان العلي حدَّثني ، وهي صادقةٌ فيما تحدث ، أن العز في النُقلِ (٣٥)
 لو أن في شرفِ المأوى بلوغَ مني
 لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ (٣٦)

(٤)

أهبتُ بالحفظَ لو ناديتُ مستمعاً والحفظُ عنيَ بالجُهلِ في شُغلِ
 لعله ان بدا فضلي ونقصهُمُ لعينه ، نام عنهم أو تنبه لي (٣٧)
 أعللُ النفسَ بالأمالِ أرقبُها
 ما أضيّقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ (٣٨)
 لم أرتضِ العيشَ والأيامُ مقبلةً
 فكيف أرضى وقد ولتُ على عَجَلِ (٣٩)
 غالىَ بنفسِي عِرْفاني بقيمتها فصُتتْها عن رخيصِ القدرِ مبتدَلِ

- (٣٤) غ ، يا ، خ ، ص ، البيد : الخيل ، ل ، غ ، يا ، الجدل (بضم الجيم والدال) : الجدل (بضم الجيم وفتح الدال) ، ل .
 ادراً : ادفع . جافلة : مسرعة . معارضات : مماثلات ، مباريات .
 مثاني : جمع مثني أي اثنين اثنين . اللجم : جمع لجام . الجدل : جمع الجدول وهو زمام الناقة المجدول أي المحكم الفتل .
 ادفع بالنوق والخيل في القفار مسرعة ، فعارض لجم الخيل بازمة النوق - حثا منه على السير .
 (٣٥) غ ، يا ، خ ، ص ، فيما : في ما ، ل .
 (٣٦) غ ، يا ، خ ، ص ، مني : علي ، ل ، ابن جماعة . (ومن الخطأ المطبعي كسر الميم في يا) .
 الدارة : هي - في الاصل - ما يدور حول الشيء ، وتكون للقمر والشمس ، واستعملها الشاعر للحمل . والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر .
 (٣٧) لعله ، الهاء تعود الى الحظ .
 (٣٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الامل : الاجل ، ل .
 (٣٩) ل ، ص ، لم أرتض : لم أرض بالعيش ، غ ، يا ، خ ، غ ، يا ، خ ، ص ، وقد : فقد ، ل .

وعادة النصل أن يزهي بجوهره
 وليس يعمل إلا في يدي بطل^(٤٠)
 ما كنت أوتر أن يمد بي زمني
 حتى أرى دولة الأوغاد والسفل^(٤١)
 تقدمني اناس كان شوطهم وراء خطوي إذ أمشي على مهل^(٤٢)
 هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمني فسحة الأجل
 وإن علاني من دوني فلا عجب^(٤٣)
 لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل^(٤٤)
 فاصبر لها غير محتال ولا ضجير
 في حادث الدهر ما يغني عن الحيل^(٤٥)

(٤٠) غ ، يا ، خ ، ص ، وليس : فليس ، ل .
 النصل : السيف .

عادة السيف أن يفخر بجوهره ، ولكن المراد منه القطع ولا يكون ذلك منه إلا إذا كان في يدي بطل يضرب به فيصيب .
 انني في ذاتي كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ، ولكن لا نفع لها ، لانها كامنة ، فلو باشرت أمرا أو توليت ولاية ظهرت محاسني في الخارج وبرز في الظاهر نفع ما لدى .

(٤١) ل ، يا ، السفل (بفتح السين) : السفل (بكسر السين) ، غ .
 وهذا دليل سوء الحال .

(٤٢) ل ، يا ، خ ، اذ : لو ، غ ، ص .

(٤٣) الشمس في الفلك الرابع ، والزحل في الفلك السابع .
 اخذ يسلي نفسه ويتأسى .

وان علاني هؤلاء الذين ذممت دولتهم وایامهم وهم دوني في كل شيء ،
 فان لي أسوة بكون الشمس منحطة عن زحل .

(٤٤) غ ، يا ، خ ، عن : من ، ل .

لها : الضمير يرجع الى معهود في النفس لم يذكر وهي المقادير أو الايام والحوادث . غير محتال : مسلما . حادث الدهر : ما يحدثه . الحيل : جمع حيلة وهي الفكرة في بلوغ القصد بطريق خفي على غيرك .
 اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لتزولها ، فان في حادث الدهر ما يغني عن الحيل ، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك .

(٥)

أعدى عدوَّكَ أدنى من وثقتَ به
فحاذرِ الناسَ وأصحابهم على دَخَلِ (٤٥)

وانما رجلُ الدنيا وواحدُها من لا يعوّل في الدنيا على رجل
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ فظنَّ شراً وكن منها على وجل (٤٦)
غاض الوفاء ، وفاض العذر وانفرجت مسافةُ الخلف بين القول والعمل
وشانَ صدقكَ عند الناس كذبهم

وهل يُطابقُ معوجٌ بمعتدل (٤٧)

ان كان ينجعُ شيءٌ في ثباتهم
على العهود فسبقُ السيفُ للعَدَلِ (٤٨)

(٦)

يا وارداً سُورَ عيشٍ كله كدَرٌ انفتت صفوك في أيامك الاول (٤٩)

(٤٥) الدخَل : المكر والخديعة .

• خذ حذرَكَ من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ، ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه اشد عداوة من كل عدو .

(٤٦) - (٤٧) ل ، يا ، خ ، ص ، وحسن ••• غاض : غاض •••

وحسن ، غ • ل ، وكن منهم : وكن فيها ، غ ؛ وكن منها ، يا ، خ ، ص •

(٤٨) ل ، يا ، ص ، يطابق (بفتح الباء) : يطابق (بكسر الباء) ، غ •

ان كان شيء من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشيء مثل اللوم والعذل على ما ارتكبه من نقص الوفاء واطهار فان السيف سبق العذل في ذلك •

يعنى ان هذا الامر فاعل وما بقى يفيد فيهم العذل شيئا ، كما ان السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعدما يمضى • لا تطمع في عود رعيهم للعهد كما ان المقتول لا يطعم في حياته •

(٤٩) ع ، يا ، خ ، ص ، صفوك : عمرك ، ل ، غ •

وهذا البيت يسميه ارباب البلاغة التجريد ، وهو ان يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بمعابته وتعنيفه وتوبيخه •

فيم اقتحامك لُجَّ البحر تركبهُ وأنت يكفيك منه مصّة الوشل^(٥٠)
 ملكُ القنّاعة لا يُخشى عليه ولا
 يُحتاج فيه الى الأنصار والخول^(٥١)
 ترجو البقاء بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظلم غير منتقل
 وبأخيراً على الأسرار مطّلعاً
 أصمتُ ففي الصمت منجاة من الزلل^(٥٢)
 قد رشّحوك لأمر لو فطنت له
 فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل^(٥٣)

(٥٠) غ ، يا ، خ ، ص ، فيم : فى ، ما ، ل ، يا ، خ ، ص اقتحامك :
 اعتراضك ، غ ، ل . أخذ يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد ان كان
 قد ثار واحتدم واحتدوا واضطرم .

(٥١) الخول : الحشم ، العبيد .

ان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة ، والى العساكر
 ليحفظوا البلاد ، فيضطرون الى أموال ينفقونها . ثم هم مع ذلك فى هم
 وفكر فى تحصيل الاموال وتدبير الرعايا فى خوف وحرص .

(٥٢) غ ، يا ، خ ، اصمت : أنصت ، ل .

(٥٣) غ ، ص ، ان فطنت له : لو ، ل ، يا ، خ .

رشحوك : فلان يرشح للوزارة اى يرى ويؤهل . الهمل : الابل بلا
 راع .

قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه فى مرادهم منك ، فاهرب
 منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملاً فتعود
 سدى .

يحذر نفسه من اعاديه الذين يسعون فى قهره وحساده الذين يريدون
 هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به .

٣

(١)

يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وبفضله وبمجده •• وليس لاحد أن يكذبه في دعواه وهو الذي بلغ في عصره المنزلة المرموقة علما وأدبا وسياسة ••

ولكن ، لم هذا الفخر ؟ وما الداعي اليه ؟ انه مشوب بشيء من الشكوى والمرارة ؟ لقد فقد صاحبه شيئا عزيزا عليه ، قد يكون أهم ما يملك ، وأكبر ما يرى في الحياة ، وفيه عزته وكبرياؤه • وإذا ما أصيب المرء بمثل ذلك خف الى رصيده الاول ، يستجده ويستعينه • وهكذا ، يكون الفخر ، تعويضا عن الفقد ، وتعزية لنفس مضامة ، وتغطية لخيبة ، وتماسكا أمام هذا الناس الذي ألفه على غير ما حل به وصار اليه •

ولو كان فخرا للفخر ، لما كانت هذه الـ « فيم » ، « فيم الإقامة بالزوراء ؟ » ، ان فيها أسي شديداً وعتابا للنفس مرآة ، انه استفهام صدر عن أعماق نفس متألمة وغير راضية عن اقامتها في بغداد ، ودعوة الى الهجرة ، وتبرير لهذه الدعوة بأكثر من سبب ، فهو في موقف من يريد أن يقنع شخصا آخر ما زال مشدودا الى بغداد بشيء ، فوالى الادلة الداعية الى الهجرة • ليس للشاعر في مدينة السلام أهل أو عمل أو مال أو صديق ، وانه قد طال اغترابه واشتد به الحنين ، ولا بد من العودة ، رضى أم لم يرض • وإذا تركنا المكابرة جانباً ، وتناسينا مسألة الاغتراب والحنين وما الى

ذلك من الالفاظ التي هي « شعر » وتبرير أكثر منها واقعا ، رأينا انه لا بد من العودة اعترافا بالواقع وخضوعا للمنطق .

لقد جاء الطغرائي بغداد وأقام فيها من أجل شيء عزيز عليه ، سعى نحوه حينئذ وطويلا ، ألا وهو « الصداقة » او « العلى » - كما سماه . لقد قصدها فرحا وخف اليها طربا وحسبها الجنة الفيحاء والدنيا السعيدة . ولم لا ؟ وما قيمة الاقامة في مسقط الرأس ؟ انه يورث الخمول والفقر ! واليوم يحدث ما يحدث ، فيصاب الرجل في طماحه ، فاذا ببغداد غير بغداد أمس ، لقد أنكرها ، وتنكر لها . وبغداد هي هي ، وما للطغرائي معها عداوة خاصة ، او كره معين ، انما ينطق تحت وطأة ظرف قاس .

واذن فما عليه الا أن يرجع ، أى يقتنع بالرجوع . وهذا هو القول الصحيح . . أما الحنين فمسألة طارئة جاءت علة لنكوص عن غاية ، ودعوة لتمويه عن دعوة أخرى ، ويقظة لأمر ثانوى كان راقدا يغط في رقوده . والا ، فأين كان أمس هذا الحنين ؟ لقد أمضى الرجل عمره في الاسفار والغربة والاقامات البعيدة عن « الاهل » والوطن . . فلم يد عليه مثل هذا الحنين الجامح !

مهما يبالغ المرء في اخفاء السبب الحقيقي ، يعجز ، حتى لو كان ذلك من امالى العاطفة ، ويعد الى الصراحة وهي أجدى . واذن فلا بد من الرحلة . وطبعي أن تكون نحو أصفهان حيث الاهل والاحبة وحيث يمكن أن ينعم بالدعة ويسكن الى الراحة - او الى الكيمياء ، هذا هو الطبيعي .

(٢)

وليس من الطبيعي أن يحدثنا عن أشياء ليست بذات صلة بما هو عليه من الحالة النفسية وعزم أكيد على الهجرة .

لقد حدثنا عن رحلته ، وعن معدات رحلته ولكن على غير ما انتظرنا ، وعلى غير ما تهتمضيه طبيعة الاشياء . فلقد بدأ يتحدث عن رفيقه في السفر مادحا خلقته وخلقته بين استواء القامة والشجاعة والشدة حينا ، والرفقة حينا . .

سار هو ورفيقه في ركب ، حتى اذا أخذ منهم التعب مأخذه ، ومضى
من الليل أكثره غلب النوم على هذا الرفيق الذي أعده الشاعر للملمات •
وما هم أولاء يقتربون من الهدف ، والرفيق نائم او شبه نائم ،
فيهزه ، ويعاتبه ويوقظه •

ولكن ما الغاية التي دعاها الشاعر « بالجلي » ؟ أول ما يتبادر الى
ذهن من استوعب المقطع الاول ، بلوغ الوطن •• او •• اذا كان لا بد من
الابتعاد عن الجو قليلا •• العلي ، كأن يكون الشاعر قد ثاب الى نفسه فعاود
الجد من أجل تحقيق مطمحه •• أما أن يكون غير هذا ، فلا •• أن يكون
غيا يحمل الشاعر لأن يطرق أحياء الناس الساهرين على أعراضهم ،
فيندس تحت ستار الليل الى خدر « امرأة » يدعى انه يجها ، ويدعى
أكثر من ذلك ، بأنها تحبه ، وان في رضاها وتقبلها •• شفاء لما هو فيه
من سقام وعلل •• أما هذا ، فلا •• وليس الظرف ظرف غزل ومغامرة هي
أشبه بمغامرات امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة ؟ وحتى هذان الشاعران
لم يكونا ليعقلا ما ادعاه الطغرائي لو كانا مكانه •

اذن ، لا بد من أن يكون في الامر شيء آخر ، او أشياء أخرى هي
غير ما يبدو للناظر • فما هو ؟ وما هي ؟

ان أمر الغزل غريب في بابه ، ونشاز في مكانه • ولو جاء في مطلع
القصيدة لقلنا انه ضرب من التقليد ، فقد درج شعراء العربية على افتتاح
قصائدهم بالغزل • وكل ما يمكن أن يقال في هذه الحالة ، ان الشاعر
خضع للتقليد أكثر مما يجب • فلقد اعتدنا - أكثر ما اعتدنا - أن يكون
الغزل في مطالع قصائد المديح • أما في قصيدة تقال في الظرف الذي يعانيه
الطغرائي فغير مألوف وغير مستساغ •

ولكنه لم يأت في بداية القصيدة • وهذا ما دعا الى الاهتمام والتسأل •
وقد يدعوا تقصى الاسباب والاعذار الى الاغراق والاعراب • وفي سعي من
هذا الوادى يلمع في ذهن المرء افتراض خلاصته ان الطغرائي لم يتغزل ،
وان هذا الذي يبدو غزلا ليس من الغزل بالمرأة في شيء ؛ انه غزل بالمجد ،

ورمز عن هذا المجد بالمرأة المنعة الجميلة • ولا يبلغ المجد يسر ، فلا بد
من مغامرة ولا بد من سهر وأعوان •

الافتراض جميل ، ولو صح ، لكان أجل وأدخل في مسيرة القصيدة
والصق بالحالة النفسية التي يأتزم بها الشاعر ؛ ولكن تصديقه ليس سهلا ،
فما ألف مثله في شعر الطغرائي وشعر عصره وجملة الشعر العربي • ثم
ان الشاعر حين جرى في غزله انفصل انفصالا تاما عن الحالة التي كان
عليها ، ولم يدع ما يشير الى مجده وطماحه من حرارة او ابداع^(١) • ولم
يبق الا غزل تقليدي لا فضل لصاحبه أكثر من التمكن في البناء الخارجي •
ولقد بعد عهد ابي اسماعيل بالغزل الصادق فقد نيف على الخمسين وتزوج
أكثر من مرة ورزق أكثر من ولد - ولات حين غزل • واذن ، فما عليه
الا أن يعمل فكره في جمع عناصر متفرقة من هنا وهناك مما ذاع في الشعر
العربي في المرأة والجمال والسرى •• ومما قام منذ قام امرئ القيس
(وقبله) وشتان •

بقي أماننا مجال آخر ، أن يكون هذا المقطع الغزلي دخيل على
القصيدة ، وقد دسه الشاعر متأخرا عن الطرف الذي نظمها فيه ، في احدى
قراءاته ومراجعاته بعد أن مرت العاصفة •

انا اليوم نفضل أن تكون اللامية مجردة من مقطعها الغزلي • ولم
يكن تفضيلنا هذا قائما على الاقتراح وعلى الدراسة الداخلية لها فقط • فلقد
رويت مرة كما نريد ، رواها ثقة هو ابو الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن
الاخوة عن الشاعر نفسه ، وقبل أن يكون للشاعر ديوان^(٢) •

(١) لا يخلو من فائدة ان نذكر ما جاء في « اعيان الشيعة » للعامل
٢٧ : ٧٩ « ٠٠٠ » وفي « الرياض » ٠٠٠ كان (الطغرائي) مشهورا بمعرفة
الكيمياء ٠٠٠ ولاشتهاره بعلم الكيمياء قيل عن لاميته ٠٠ انها رمز الى
علم الكيمياء • وهو خيال فاسد •

(٢) ينظر ابن جماعة في التعليقة و ٧٤ ب •

أى نعم ، فما أنسب أن نتقل من المقطع الاول الى الثالث •• من :
والدهر يعكس آمالي ويُقنعني من الغنيمه بعد الجد بالقفل
الى : حب السلامة يثني همَّ صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل
وكأن المقطع الغزلى لم يكن • وهنا تقول ، ومن حشك أن تقول
وتعرض بهذا الفرق « الهائل » بين المقطعين : مقطع ينتهى باليأس
والاستسلام ، ومقطع يدعو الى المعالي والعلى والعمل وتحمل المشاق وقطع
البيد ومواصلة الاسفار ••

وطبيعى ان هذه الاسفار غير الاسفار التى دعا اليها فى مقطعه الاول
مما يتصل بالهجرة واللياذ بالسكينة فى ربوع الوطن •• انها أسفار جديدة ،
انها استئناف العمل والسعى ، واستئناف الطمع والطماح ••

اذن ، لقد اتضح الفرق وبانت الهوة ، واين الاستسلام من المقاومة
غير اليأسه ! والحق معك ، لأنك تزن الامور بالميزان المنطقي ، بمنطق العقل ،
والعقل ألوان - ان شئت • واذن ، فالفرق هائل ، وسياق المنطق يدل على أن
الرجل ، بعد أن يثس قرر الهجرة وحبها الى نفسه ونفذهها - هذا ما يقوله
المنطق العقلي • ولكن المنطق النفسى لا يشترط ذلك ، وانه يجيز ما وقع
فيه الطغرائي بل يؤده ، فان هذا الذى بدا تناقضا واضطرابا هو ادل على
صدق الشاعر وعلى اعرابه عن حالة حادة يعانها ، فما يكاد ينتهى الى شئ
حتى يثور ويحطم ما بنى ليشيد خطة جديدة لا ينفك يجمع لها الادلة
والبراهين •

فهو هنا يدعو الى العمل والى المخاطرة والى قطع البيد ، ويهجن حب
السلامة الذى يحول دون المعالى ويغري صاحبه بالكسل ويورثه المذلة
والمسكنة - وكأنه شاعر آخر غير الذى رأيناه فى مطلع القصيدة •
وهو صادق فى دعواه ، مطمئن اليها يزجها بكل تأكيد وبغير قليل من
النضح والحدة • ولا غرو فهو فى شدة وازاء نفس عنود •

ولكنه مهما يجمع الأدلة ، ومهما يستنجد بعقله الواعى لا يستطيع ان يقنع نفسه ، أو قل ، لا يستطيع أن يصد الالم الطاغى ويدفع الاسى المسيطر . فأين هو من المعالى ؟ ومن العز ! ومن « فادراً بها » ؟ وواقعه مر ، وحاله يشعر بالخيبة . واذا صعب عليه تعليل الاشياء بما يليق برجل رصين ، انحدر به الضعف الى « الحظ » وكأنه كل شيء ، فهو الذى يأخذ ، وهو الذى يعطى ، فراح يدعوه ويعاتبه ويناقشه - وهيهات .

ولمحة من لمحات العقل تريبه استحالة ما هو فيه ، وغرور ما هو عليه ، انها أعاليل بأباطيل ، لا تحل مشكلا - وان خفت وطأ .

فأين هو ؟ وكيف ينسجم وعصره ؟ انه صعب المراس ، شديد الثقة بنفسه ، معتد بقيمته ، مترفع عن الدنيا . انه لم يرض عن أيام كان فيها معززا مكرما ؟ فكيف يرضى الآن ، مهما يكن أمره ؟ كيف ؟؟ والدولة دولة أوغاد ، والحكم حكم جهال ، وقد علاه من كان دونه بأشواط . كيف يرضى ؟ ذلك بعيد .

لم يكن كاذبا اذ وصف السلطة عام ٥٠٥ بما وصفها ، فذلك مما يؤيده التاريخ . ولكننا نسأله : أين كنت قبل اليوم ؟ انه لم يجد قبل اليوم ما يدعوه لمثل هذه التصريحات ، ولم يكن على الحالة التى تريبه حكام عصره على الشكل الحقير والاحقر . كان سجين مطامحه ورهين أمانيه ، كان فى طريقه الصاعد لا ينظر يمنة او يسرة . أما وقد حيل بينه وبين القمة ، فكل شيء واضح ازاءه على حقيقته وعلى أحسن من حقيقته ، وان له من الوقت ما يستطيع معه أن يتبين ويتفحص ويتأمل ويحكم .

بل انه ازاء نفسه وجها لوجه ، هذه النفس التى غررت به وأوقعته فى مهاوى الآمال البعيدة وفى « تمنى فسحة الاجل » . انه ليعاتبها ويقول لها : تسأهلين ، ذوقى . ولكنه لا يستمر طويلا ، لانه رجل لا ينسى ذاته طويلا ؟ وله فى مجده الماضى أعظم مظهر للتغزية والسلوان ، فهو الشمس وسواء زحل . . . واذا انحط فهو الشمس على أى حال . ومثله لا يأس ،

وما عليه الا أن يصبر ، فاذا ضاقت به الوسائل فليكف عنها ، وليصبر ،
ولينتظر المصادفات و « حادث الدهر » •

من الصعب على امرئ عرف بالطغرائي ورأى ما رأى الطغرائي أن
يستسلم يسر ، ومن دون ثورة نفس وتضارب أفكار وتصادم هواجس وضرب
أخماس بأسداس وكبرياء وتعاضم وسخط على الدهر والحظ •

(٥ - ٦)

كل هذه « عموميات » يرسلها الطغرائي دون تخصيص لأنه تحت مجموع
الكارثة ، لا يراها مجزأة ولا يحدها بسبب واحد ، انه يتخبط لان الضربة
شديدة ••• حتى اذا اتضحت الامور قليلا ، قارب التخصيص فصاح :
أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
واذن ، فمن مأمته أنني الطغرائي واذا أصدقاؤه ألد أعدائه ، لقد
أوقعوا به ، وأنزلوه من مجده • ولم يزد على ذلك في التصريح ، كأنه يرى
نفسه أكبر من أن تنزل الى مثل هذا الدرك او كأن المسألة أكبر من ذلك^(١) •
فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن أن يكون عليه من ضيق ، وانه لم يعد
حتى ذلك الطغرائي الذي يكابر وهو في منزلة ذلة ، ويفخر وهو في موطن
عزاء ، ويأمل وهو في ميدان يأس •

أجل ، لقد ضاقت وانتهى عالم •• وبدأ عالم أسود ، كل ما فيه
يدعو الى التشاؤم بحرارة وحماسة و « صدق » : أهل هذا العالم قوم أعداء ،
شيمتهم الغدر ، كذابون ، لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يتق
بالآخرين ، صادق ، اذا قال فعل •• انه لعالم حالك وحقير ، ومؤلم أن
يكون عالم الانسان •

لقد رأى الطغرائي عالم عصره خلال تجربته الخاصة ، ولكنه ما
زال يوسع الخاص ويوسعه حتى جعله عاما • وله في حقيقة السوء الذي

(١) وما يذكر انه كان أكثر تفصيلا في البائية •

كان عليه العصر مساند ، وهكذا يكون قد قدم لنا صورة لزمانه ، ويكون قد استوعب المجتمع الذى احتواه •

وإذا كان العالم كذلك ، والناس كذلك ، أصبحت النتيجة الحتمية واضحة ، وهى نفسها التى انحدر اليها الطغرائى - بعد تردد وممانعة - ألا وهى اليأس أو القناعة - ان شئت •

ولكن نفسا يحملها الطغرائى « لا تقنع » من غير أن تتعب صاحبها ، انها على الرغم مما قاست وعانت ومما انتهت اليه ، ما زالت تنطوى على بقية من طمّاح وشرارات من أمل •• مما استوجب الحجاج وزيادة الأدلة والبراهين : فالعيش كدر ، ومصّة الوشل تغنى عن البحر ، وملك القناعة لا يخشى عليه ، والدنيا فانية ، والصمت منجاة •• الخ •

ترى هل قنع ؟ يبدو • ولكن ذلك صعب على مثله • ان الأدلة التى ساقها تقنع غيره وترضى سواه ، أما هو فاذا رضى فالى حين واذا صمت فعلى مضض واذا يش فعلى أمل •



(١)

هذه اللامية اذن سجل لأطوار قلب نائر ونفس طعين ، عبرت عما
يكتنف الشاعر من طماع وقناعة وأمل وألم واقامة وهجر وحب وكره .
ان العواطف لتجري حارة في عروق القصيدة ، عميقة ، غنية ، صادقة ،
أصيلة ؛ بلغة سليمة هي لغة الشاعر العربي المتمكن الكبير .

كل ذلك من غير افتعال وكذب وضجيج مختلق وقرعة متكلفة ،
ولو لم تكن كذلك لما كان لها شأن يذكر حتى اليوم ، ولذهبت مذهب
عشرات القصائد التي قامت شهرتها على الزيف وفساد الاذواق والظرف
الأنبي .

لقد أولع عدد من الدارسين برد معاني اللامية الى أصولها ، أو بمعنى
أدق رد معنى أبياتها الى أبيات شعراء سبقوا الطغرائي ، كأنهم يريدون أن
يقولوا ان الطغرائي أشار اليهم أو أخذ عنهم أو سرق منهم .

ومحاولة رد أبيات الطغرائي الى غيره من أمثال المتنبي والشريف
الرضي والمعري ليست مستحيلة ، او مطلقة في العبث . وقد عمل ذلك
الصفدي بحسن نية^(١) ، ولعل الذي بعثه سعة علمه وغزارة محفوظه^(٢)

(١) الصفدي ، الغيث ..

(٢) السبكي ٦ : ٩٤ ؛ العسقلاني ٢ : ٨٧ .

وتطبيق لخطه يجعل بها شرحه للامية كتابا أوسع من « شرح » • ثم ان مبدأ « الرد » مألوف في الدراسات الادبية القديمة ، وظل حيا عبر أجيال حتى انتهى - فيما رأينا - الى استاذنا المرحوم طه الراوى ، فلقد كتب مقالات يرد فيها للامية الى غير صاحبها مستعينا بالطريق الذى مهده الصفدى وبالمثله التى أوردها • ولكنه تميز عن الصفدى بالشدة فى الحساب والعنف باللهجة • وأكبر الظن انه كان كذلك بسبب ما كان معلوما من أن الطغرائى فارسى أعجمى (٣) •

وعلى أى حال فلقد انتهى المرحوم الراوى الى « أن الرجل أغار على المعانى الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم فاعتصر منها خلاصاتها ، ثم صبغها بالالوان البراقة الجذابة ، وأبرزها للناس على انها نتاج قريحته ، ووليدة يراعته ، فأقتن الناس ببريق تلك الالوان ، ونسوا ما وراءها من سبايا المعانى البارعة التى لو أطلقناها من عقال الوزن والقافية لرجع كل الى أصله واعتز بانتسابه لأهله ، ونحن لا نريد أن تنكر على الرجل انه من بدعة الصاغة ، ومهرة المصورين ولكننا لا نشك فى أنه أقدر الناس على الاتفاع بنتاج غيره موهما انه من نتاج فكره (٤) •

ومن يقرأ الصفدى وما ربطه بين أبيات الطغرائى وأبيات سابقة (ولاحقة) يحس أن فى هذا المذهب كثيرا من الجهد الضائع والتسلف ، ولكنه لون عقلى يحقق لصاحبه البراعة أمام الناس ثم ان بعض الروابط لا تخلو من طرافة وصحة حتى ان القارىء ليقنع بصحة علم الطغرائى او قصده فى الاخذ أحيانا • ولم يد أن الصفدى كان يقصد الى التشفى أو الى الحط من شأن الطغرائى ولا أن يمهد للحط من هذا الشأن • ذلك ان شيئا من الربط بين معنى بيت او أبيات لشاعر كبير مع بيت أو أبيات لشاعر سابق مألوف فى الشعر العربى وقد أطل الباحثون درس هذه الظاهرة وكانت

(٣) الراوى ، الصبح • وزاد ولده الاديب حارث ان المرحوم والده كان يحب بغداد حبا جما ، وربما كان لموقف الطغرائى منها أثره فى ذلك •
(٤) نفسه ٤ : ٦ •

لهم - والآمدى^(١) - فى مقدمتهم - آراء صائبة فى الانصاف وفى التمييز بين ما كان سلخاً أو سرقاً أو أخذاً وبين ما كان تجميلاً وتأثراً غير مقصود . . .
 حقا ان بين أبيات اللامية ما يتصل بالبيت الفلانى والفلانى من شعراء سبقوا ، ولكن هذا الاتصال لو كان أخذاً وسرقاً لما كان للامية شأن كبير ، مهما أوتى صاحبها من مهارة وقدرة على السبك والرصف والصياغة . ان شعر التمكن لا يدوم طويلا ، ولا ينطوى على قوة وغنم مما تنطوى عليه الآثار الاصيلة . وانه - أى شعر التمكن انما يضطر اليه الشاعر عندما يتكلف المواقف ويقصد من شعره الى المسابقة الشكلية ، وعندما يقول وهو هادىء النفس غير منفعل وفى موقف لا يمت اليه بسبب قوى . ولم يكن الطغرائى كذلك ، لقد كان متمكنا - دون شك ، وبارعا دون ريب - ولكنه كان منفعلا ، وكان يتحدث بعمق وصدق عن أوصل الاشياء بكيانه - ولات حين سرقة وتفكير بالسرقة .

ولنبداً بالبداية . قال الطغرائى :

أصالة' الرأى صانتى عن الخطل وحلية الحلم زانتنى لدى العطل

فعبّر بذلك عن القمة النفسية التى كان عليها والتى دعت الى قول الشعر بعد امتلاء نفسه بالكارثة التى حلت به ولم يجد ما يقوى به وجوده غير الرصيد القديم وغير الاستعلاء عن صفائر أمور الدنيا ؛ الحالة حالته ، ولقد عبر عنها كما يجب وكما يشاء . أما الالفاظ فهى ألفاظ العربية وليس لأحد أن يقول ان « اصالة » هى لفظة فلان و « الخطل » لفظة فلان و « العطل » لفظة فلان . انها لو كانت كذلك لما جاءت على هذه القوة .

ويأتى الصفدى^(٢) فيشرح ويعرب ويفسر ثم يقول : قال الشريف الرضى :
 ان يبل ثوبى فانى أكسى حسي أو ترد خيلى فانى راكب مننى
 لقد تقدم بي فضلى بلا قدم اعظم بأمر على ذى السن قدمنى^(٣)
 ويذكر بعد ذلك أبياتا لشعراء آخرين لا قيمة لها وبينها ما هو لشعراء

(١) الآمدى : الموازنة بين الطائيين . . .

(٢) الصفدى : ١ : ٥٠ .

(٣) ينظر الديوان ١ : ٥٤٣ .

متأخرين عن الطغرائي ولا يربطها الا بما يتوهم ، وما يمكن أن يكون من قرابة في المعنى العام . ذلك منهجه . ولكن ماذا يعني ذكر بيتي الشريف الرضي ، يعني الشبه في الحالة التي عبر عنها الشاعران والتي دعتهما لأن يفخرا ، ويفخرا بفضلهما غير مباينين بهرج الدنيا من ثياب وزينة . وليكن . وحسنا فعل الصفدي اذ لم يقل ان فلانا أخذ أو سرق من فلان ، ولم يقل ان بيت فلان خير من بيت فلان . وان « الشريف لم يكتف باكساء ثوب الحسب ، حتى ركب خيل الكرم . والطغرائي لم يزد على أن وضع الحلية موضع الثوب واني لعلى ثقة بأن الذوق السليم يستحلى كلمة الشريف ويفضل ثوبه على حلية الطغرائي لأن الرجال خليقون بأن يتجملوا بالثياب ، أما الحلية فمن خصائص ربات الحجاب ...» (١) ان هذا ما لم يمر من الطغرائي ببال ، وما لا يمر ، ولا ينسجم والحالة التي هو عليه ، وما كان موقفه موقف حلية « نساء » ، انما كان جلال رجال ، وكان حلية فضل ان أردنا الصراحة . ولم يكن بين كلمتي الفضل والحلية فاصل .

وقال الطغرائي :

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع

والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل

وهو تمة طبيعية لسابقه وتجسيد للأزمة التي وقع فيها الشاعر ، ولم

تحل « رآد » و « طفل » دون فهم البيت ، ولم تكن الكلمتان من الغرابة

والتقل بحيث يكدران الصياغة .

ويقول الصفدي : « وقد أخذ الطغرائي هذا المعنى من قول أبي العلاء

المعري حيث قال :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

فهذا هذا ، خلا ان ذاك في الشمس وهذا في القمر ، ولكن قول

المعري ألفت عبارة وأحسن اشارة لأن الطغرائي أغرب في لفظي رآد

والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم في البلاغة ...» (٢) .

(١) الراوي ، ٦ : ٢ .

(٢) الصفدي ، ١ : ٥٢ .

ان القرابة بين الشطر الثاني للبيتين قائمة ، ولكن هل كان بيت المعري حاضرا في ذهن الطغرائي وهو ينظم ما يعانى ويكابد ؟ لقد سمح الصفدى لنفسه أن يجزم بالاخذ . وقد يكون له ما يرر ، لكن ما باله يقول ان بيت المعري أطف اشارة ، ويقول ان الطغرائي أغرب . . ليس من حقنا أن نتخذ من القرابة والسهولة سلاحاً ذا حدين . ولو سمحت لنفسى بمثل ما سمح به الصفدى لفضلت بيت الطغرائي ، ولكن لا داعى لذلك .
وقال الطغرائي :

فيم الإقامة في بغداد لا سكنى بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وهو منسجم تمام الانسام مع سابقيه ، بل انه المعنى الطبيعي الذى جراً اليه ، وسبقاً لتقدمه . فماذا قال الصفدى ؟ قال : « . . أنظر الى قلعه في بيت الطغرائي لأنه عطف الناقه والجمال على السكن ، ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس » (١) ، هكذا فهم الصفدى ، لانه من قوم يقيمون تقدمهم على المعانى القاموسية واللفظة ومعناها ، فرأى فى البيت سكناً وناقه وجملاً ، فرأى قلعا ، أما نحن فنرى ما رآه الطغرائي : سكناً ومالاً ، ذلك ان « لا ناقتي فيها ولا جملي » تعني المال ، وتستطيع أن تقولها - كما هو الشأن فى الامثال وأبواب التجوز - فى مواقف لا صلة للناقه والجمال والجمال فيها . كما هو فى بيت الطغرائي وكما هو فى الحال التى كان يحس بها (٢) .
وقال الطغرائي :

ناء عن الاهل صفر الكف منفرداً كالسيف عُرِّيَ متناه عن الخلل
وقال الصفدى : « وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله :
وان كان فى لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائل
وقال البحرى يعزى بولد :
تعزَّ فان السيف يمضى وان وهت حمائله عنه وخلاه قائمه

(١) الصفدى ١ : ٧١ .

(٢) ذكر الميدانى ٢ : ١٤٤ (ط) . بولاق ١٢٨٤ : « يضرب المثل

عند التبرى من الظلم والاساءة » .

وقال النمر بن تولب :

فإن تك أثوابي تمزقن عن فتى فاني كنصل السيف في خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة :

فأصبحت مثل السيف اخلق غمده تقادم عهد القين والنصل قاطع^(١)

وليس لأحد أن يجرو فيقول ان الطغرائي سرق معناه من سابقه ،

بل اننا لنسائل عن سر ذكر هذه الايات التي ورد فيها « السيف » ...

ان ذلك ما يمكن أن يخيل الى القارىء ان الطغرائي يسرق - وصدق

الراوي اذ قال « ان هذا المعنى ملقى على مدرجة السابلة »^(٢) .

انا لو أردنا أن تتبع مذهب الصفدى وتابعيه أطلنا وأتعبنا دون نتيجة .

وما يمكن أن يقال فى أبيات لامية الطغرائي يمكن أن يقال فى كل قصيدة

مناظرة . ومع هذا ، لنقف عند البيت :

وضج من لغب نضوي وعج لما ألقى ركابي ولج الركب فى غدلى

فقد قال الصفدى : « فى قوله وضج من لغب نضوي غنية عما يقول

فيما بعده : وعج لما ألقى ركابي ، لأن المعنى واحد ، فكل منهما يعنى عن

ذكر الآخر ، فان ضجيج النوق هو عج الركاب ..^(٣) » .. وقد أخذ بيت

الشريف الرضى برمته من قوله :

.. ووقفت حتى ضج من لغب نضوي ولج بعذلى الركب^(٤)

أما أن يكون الطغرائي قد أخذ بيته من بيت الشريف الرضى فذلك

ما لا يحتاج الى نص ، ولا الى ضجيج وانه ما لم يرد الشاعر اخفاه بعد أن

أخذه بنصه . ولتذكر ان الطغرائي الآن فى « مقطع الغزل التقليدى » من

اللامية . واذن فلسنا بصدد الاصاله والحالة النفسية ، انما هى صناعة وبراعة

فى الصياغة . والحقيقة ان الصفدى بالغ عندما أخذ الطغرائي على : « وعج

(١) الصفدى ١ : ٨١ .

(٢) الراوى ٦ : ٣ .

(٣) الصفدى ١ : ١١٢ .

(٤) نفسه ١ : ١١٦ .

لما » كأنه يريد أن ينفي من طرائق اللغة العربية الازدواج وما يشبهه ،
و كأنه يجهل الايقاع الموسيقى الذى ولد من توالى ضجح و عيج و ليج . . .
كما ان من يقول :

تقدمتني اناس كان شوطهم وراء خطوى اذ امشى على مهل
لا يضمر اخفاء المصدر الذى أخذ منه ، فما كان الشريف الرضى
نكرة ، وقد قال :

فلم أنا كالغريب وراء قوم لو اختيروا لقد كانوا ورائي^(١)
ولكن الحالة واحدة ، وجاء بيت الطغرائى منسجما كل الانسجام مع
ما قبله وما بعده ، وقد يكون أمتن وأعنف من بيت الشريف الرضى ، الا
أن الصفدى لم يذكره ، ولم يشر اليه .

وبعد

فمن الظلم أن نجرد اللامية من كل معنى أصيل ، وأن نتهم صاحبها
بأنه استل معانيه من غيره الماما وسرقة وسلخا . فنحن لا نشك أن
الطغرائى حفظ كثيرا واعجب بروائع الشعر العربى وبالشريف الرضى ،
وانه اختزن ما حفظ ، وتسرب نسغ منه الى أشعاره ؛ ولكن اللامية جاءت
أصيلة أعربت عن حالته النفسية التى عاناها هو من دون تلكؤ ومن دون
ما يشير الى انه كان يعتمد الى التقليد والمعارضة والاخذ ، فلقد كان من
السيطرة بحيث أعرب طواعية وجرى هدارا . واذا ما ورد على لسانه
- وهو فى هذه الحالة - لفظ أو معنى أو تركيب لآخرين فذلك مما أمله
الحالة المشابهة ومما انساب انسيابا ، ومما يدخل بعضه فى باب التضمين .
وما كان الطغرائى من الغباء بحيث يجهل ان الناس يعلمون ان المعرى قال :

واني جواد لم يحل لجامه وعضب يمان اغفلته الصياقل
وأن امرأ القيس قال :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

(١) ديوان الشريف الرضى ١ : ١٧ .

(٢)

وما قيل في المعاني يمكن أن يقال في وجوه البلاغة العربية ، وانك
لواجد في اللامية كثيرا منها : الطباق ، المقابلة ، الجناس ، التقسيم ،
الاستعارة المكنية •• مما لا داعي الى النص عليه •

ولا نشك أن الشاعر كان يرغب في أن يحلى نظمه بهذه الوجوه ،
وان عصره كان يرتاح اليها ويطلبها •

ولكنها جاءت في اللامية مقبولة وغير مستقلة او قل انها جاءت سهلة
على لسان معود ومن قريحة ثرة وفي حالات نفسية تمنح الصناعة طبعا ،
والعظام لحما فتسجم فيها العناصر المختلفة وتهبها قوة وحياة •

ولا تنس ان الشاعر صناع ماهر مضت عليه - قبل اللامية - أكثر من
ثلاثين سنة وهو يحوك وينسج ويهييء آياته •

وكان طبيعيا أن يبدو أثر الصناعة على أبرز ما يمكن في مقطع الغزل
التقليدي حيث تخف الحدة ويضعف النفس ويكون للؤلؤ متسع من الوقت
يبدله في التمييق وثرورة من التراث يستغلها في البناء •

ولغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا ، وأفخمه تركيبا • انها لغة
امرىء أخذ اللغة عن أصولها وتبحر في مظانها ونصوصها ومرن نفسه
عليها حتى طوعها لقلمه ولسانه واستوت لديه اللفظة السهلة والصعبة
والقريبة والبعيدة وانه ليركبها وكأنه لا يفتن الى مواضع الغرابة في الاداة •
ان عددا لا بأس به من المفردات يبدو - غريبا علينا - وعلى أسلافنا •
والا ، لما سودت الصحف في شرح اللامية وبيان معانيها • هذا صحيح ،
وأصح منه انك حين تقرأ القصيدة لا تواجه هذه الغرابة ، انما الذي تساق
فيه هو الجؤ - وحسب الشاعر الفحل ان يخلق جؤا ؛ حتى اذا رحت تحلل
القصيدة بيتا بيتا والبيت كلمة كلمة رأيت صعوبة المواد التي كونت هذا
البناء الشاهق •

وهذا طبيعي ، لان القصيدة أصيلة وصادقة أعرب فيها الشاعر عما

عاني وقد أصيب في صميم وجوده •
ويتميز المقطع الغزلي بأوفر حظ من المفردات الغريبة ، وهذا طبيعي
أيضا ، لأنه تقليد وصناعة وبراعة •

(٣)

أول ما يفهم من قصيدة تسمى « لامية العجم » ان صاحبها عجمي ،
او انها تمجد العجم وتسجل مفاخرهم عبر التاريخ ومثلهم العليا التي
يتميزون بها عن سائر الامم وانها تحمل طابعا من الشعوبية وتفضيل الفرس
على العرب ، او انها تحفظ - في الاقل - معالم أخلاقهم وبسات معاشهم •
وألا تكون فردية يتحدث فيها شخص بعينه عن حادثة خاصة به اكتفته
خلال فترة معينة •

فماذا في اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء • فليس الطغرائي
شاعرا عجميا • هذا أمر أصبح مفروغا منه^(١) ، فلقد نسبته مصادر مهمة
لأبي الاسود الدؤلي^(٢) وأبو الاسود عربي وبنو دئل من كنانة من عدنان^(٣) •
أما أن يلقب أحيانا بالاصبهاني وانه من مواليد هذه المدينة وفي أسرة تقطنها،
فليس لذلك من دلالة كبيرة ، فلطالما سكنت هذه المدينة أسر عربية منذ
دخلها العرب مبكرا في العصور الاسلامية ، وطالما حمل المشاهير نسبا الى
مساقط رؤوسهم • وقد كان أبو الفرج - صاحب الاغانى - أصبهانيا قبل

(١) الطاهر ١ : ٧٩ - ٨٠ •

(٢) نقله علي رضائي عن العماد ، وكده ابو الفدا ١ : ٢٤٧ ، ابن
الوردى ٢ : ٣١ ، البارزى فى مختصره لوفيات الاعيان ، وينظر سبط ابن
الجوزى وابن جماعة •

(٣) القلقشندي ص ٥٤ (وينظر الفيروز ابادى فى المحيط) • وقد
يرد الطغرائي على : « الليثى » كما فى مخطوطة لندن ٧٥٣٠ ، وابن جماعة
بسند عن السمعاني و ١٧٥ ؛ وفى البداية والنهاية ١٢ : ١٩٠ • وليث بطن
من بكر من كنانة كما فى القلقشندي •

الطغرائي ، والعماد - صاحب خريدة القصر - أصبهانيا بعده ، وكلاهما عربي دون شك . أضيف الى أن ليس في شعر الطغرائي ولا في الاحاديث عنه ما يدل على فارسيته . ولم نجد النص على انه عجمي فارسي الاصل الا لدى مؤلفين متأخرين مثل هيوار ، ونيكلسن ، والزيات ، محمود مصطفى ، وحنّا فاخوري ... (١)

وليس لهذا أية دلالة ، فهم متأخرون جدا ، ولم يتسع لهم الوقت للتجرد في التحقيق وانهم تأثروا بنسبة « الاصهاني » و بـ « لامية العجم » . ثم انك تقرأ اللامية فلا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم ، فلا هي للعرب ولا هي للعجم ولا هي لغيرهم ، انها لا تتحدث عن العجم ولا الى العجم بقليل أو كثير ، لا مدحا ولا ذما . ولا يمكن أن تكون مصدرا في دراستهم .

بل انها - اذا كان ولا بد - أصلح أن تكون مصدرا عن أخلاق العرب ومعاشرهم (٢) ، ولا يقصد بذلك أن تكون صفحة من تاريخ بغداد في مطلع القرن السادس ، انما يقصد انها ، في المقطع الغزلي ، تبين صورا من أخلاق العربي والعربية في البادية بين الشجاعة والكرم والحب والكره والاستار والكلل ، سجلتها باعجاب وتقدير بعد مر قرون واعوام .

اذن ، كيف أصبحت لامية للعجم ؟ لا أدري ؟ فالمؤلف لم يسمها كذلك حين نظمها وحين رواها ، وحين رويت عنه . ثم كان الديوان الذي جمعه الشاعر نفسه ولم نجد على رأس القصيدة أكثر من « قال في مدينة السلام عام ٥٥٥ » .

وتحدث العماد الاصهاني (٣) - وهو معاصر - ولخص حديثه على

(١) في كتبهم عن تاريخ الادب العربي . وفي اعجام الاعلام لمحمود مصطفى .

(٢) ينظر الراوي ٥ : ٤ .

(٣) الخريدة ، قسم بلاد العجم .

رضائي^(١)، ولم يقرنه أو يقرنها بالعجم وإنما اكتفى بأن قال «بدأ بلاميته»
ثم تحدثت عنها مصادر أخرى ...

ولعل أول تسمية لها بلامية العجم نراها في «ارشاد الازيب» لياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦ أى بعد تأليف اللامية بمئة وعشرين سنة . وقد قال : «ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولتها الرواة وتناقلتها الالسن المعروفة بلامية العجم^(٢)» . ومن الممكن أن تكون الالسن التي تناقلتها حملتها هذه التسمية .

ثم يأتي ابن خلكان فيقول شيئاً يشبه ما قاله ياقوت : «المعروفة بلامية العجم»^(٣) .

حتى اذا جاء الصفدي أتى عليها التناء العاطر وخصها بشرح مسهب سماه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» بل أكد وعلل : «وأما هذه القصيدة اللامية فانما سميت لامية العجم تشبيها بلامية العرب لأنها تصاها في حكمها وأمثالها . ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى ، وأولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

.. وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها ، وازافة الشيء الى شيء مشهور او أعظم تدل على شرف المضاف ...»^(٤) .

وقد فتح الصفدي بأقواله هذه أبوابا لا داعي لفتحها ، وقد ظلت مفتوحة مدى قرون^(٥) . فلقد جرّ شرحه - كما سنرى - سلسلة من

(١) علي رضائي ، عود الشباب .. وقريب من هذا ما رواه الحسامي في مختصره لابن النجار فقال : «وهو صاحب القصيدة الغراء التي اولها : أصالة الرأي ...» و ٣٥ ب .

(٢) ياقوت ١٠ : ٥٩ - ٦٠ (الحسين ٠٠) .

(٣) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ (الحسين ٠٠) .

(٤) الصفدي ١ : ١٣ .

(٥) طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) .

الشروح تلخيصاً ورداً ، محتفظة - في الغالب - بنسبتها الى العجم ومقارنتها بلامية العرب • ونقل العاملى عن الرياض : « ومن مشهور شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم لأن ناظمها عجمى أصبهاى • • وذلك فى مقابلة لامية العرب • • (١) وأبدل حنا فاخورى بـ « مقابلة » « تميزا لها عن » • • (٢) ؛ وجر ربط لامية الطغرائى بلامية العرب الاب لويى شيخو ٦ : ٢٠٤ - الى أن يضعها فى سلسلة الشعر القديم الذى يقصد به الجاهلى ، فقد جاء الشنفرى بعد عترة وجاء الطغرائى بعد الشنفرى • بل ان المرحوم الراوى « فرض ان الذى سماها لامية العجم هو الطغرائى نفسه » و « ناقشه الحساب على هذه التسمية » وانطلق فى المناقشة من مقارنتها بلامية العرب فقال : « هل فكر الطغرائى عند معارضته لتلك القصيدة ان يرسم لنا فى قصيدته صوراً صادقة من أخلاق العجم ومطاوى نفسياتهم وكيفية معاشهم فى حواضرهم وأريافهم ؟ • • • (٣) »

أجل ، لقد فتح الصفدى أبوابا ظلت مفتوحة ، وما كان لها أن تبقى كذلك • فلم يسم الطغرائى قصيدته بلامية العجم ، ولم يدر بخلده أن يعارض لامية العرب ، ولم يشهد المقابلة بين « اللاميتين » • والحقيقة - ولما أبان المرحوم الراوى (٤) - ليس هناك أى مجال للمقابلة بين اللاميتين ، وليس هناك أى داع • انه لمن السخف ان تعقد مقارنة بين قصيدتين لا رابط بينهما ولا يتشابهان فى الوزن او ايقاع لام القافية (٥) •

(١) العاملى ٢٧ : ٧٩ •

(٢) الفاخورى ، ٧٢٠ •

(٣) الراوى ٥ : ٤ - ٥ • وحمل الاعتقاد بفارسية الطغرائى الكنعانى ص ٢٤ الى ان يقول - وهو يقابل بين اللاميتين : « امتازت لامية الشنفرى بالصراحة • • اما الطغرائى فهو يوصيك بالحذر والتكتم • • • وهذا التباين ليس بغريب فعربى الصحراء غير اعجمى المدينة » •

(٤) الراوى ٥ : ٤ - ٥ •

(٥) شرح لامية العرب الزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ) فى كتاب خاص سماه : « اعجب العجب فى شرح لامية العرب » طبع عام ١٣٠٠ هـ (فى مجموعة منها المقصورة الديرية) ، وطبع مع شرح آخر لابن زاكور =

لقد آن لباب المقابلة بين « اللاميتين ا أن يسد (١) » .

(٤)

لماذا تناقلت الالسن اللامية ؟

كان الطغرائي أول من أعجب بها ورواها ، وقد يكون مرد ذلك كونها تصور جانبا من نفسه وتؤرخ حدثا ضخما في حياته ، ولأنها شامخة فخمة جاءت على صعيد الشعر العربي العالى ، وعلى عموده المستحب المستعذب فى كل العصور دون أن تنسى ذوق عصرها فى المعانى والبيان والبديع .
ورواها عنه المعاصرون

« وتداولتها الرواة » وشرقت وغرّبت .

ويبدو ان ذبوعها لا يكمن فى دلالتها على شاعرية صاحبها قدر ما تضمنت من « أمثال وحكم » يمكن أن يستشهد بها الانسان فى سرائه وضرائه ، وآلامه وآماله ، وتفاؤله وتشاؤمه . فاذا برم ببلد قال « فىم الإقامة فى الزوراء .. » واذا آثر السلامة قال : « حب السلامة يشى هم صاحبه .. » واذا حث على التقل : « ان العلى .. » واذا ضاقت به الدنيا :

= المغربى (أحد أعلام المغرب فى القرن الثانى عشر) عام ١٣٢٨ (ط ٣) ، وطبع الشرحان يليهما شرح ابن احمد المالكى سنة ١٣٢٤ (القاهرة - كما يذكر سر كيسى ص ١٩٦٤) .

ومن المفيد ان نذكر ان للامية العرب شرحين مخطوطين (صورتها فى المجمع العلمى العراقى) للسويدى (ابى البركات عبدالله بن الحسين بن مرعى) ويقع فى ٦٦ ورقة ؛ وللشاوى (سليمان بن عبدالله) ويقع فى ١٧١ ورقة ، تم سنة ١١٣٨ .

والمهم ان هؤلاء الشراح (الزمخشري وابن زاكور والسويدى والشاوى) لم يشيروا الى الطغرائي أو لاميته وتمسك الشارحان الاخيران بما روى من ثناء عمر بن الخطاب على لامية العرب واستدلا بذلك على عظمتها . وفى المكتبة العباسية مخطوطة من شرح النقجوانى ، ينظر الخاقانى .

(١) بل ان الدكتور البصير ، ص ٧٤ ، يرى ان لامية العرب منحولة ، وانها تسمى الى سمعة العرب ، وانها شعوبية قد تكون لامية خلف الاحمر نحلها الشنفرى وسماها لامية العرب ، لانها تصف العرب باللصوصية وقتل النساء والاطفال وأكل التراب .

« أعلل النفس .. » وإذا برم بساسة عصره : « ما كنت اوثر .. » وإذا
اشتد بأسه من الانسان : « اعدى عدوك .. » وإذا دعا الى القناعة : « فيم
اقتحامك .. » وهو في كل حال يجد في البيت « البلسم الشافى »
والتجسيد المناسب لما هو فيه ، كما يستشهد المرء بالمثل الشائع ، وكما سارت
أبيات المتنبي •

ان هذه الامثال هي التي عملت على بقاء القصيدة وتقلها بين
الاجيال^(١) ، وعلى عناية الناس وروايتها وشرحها ومعارضتها - وحتى
ترجمتها •

ولقد أدركنا جيلا يحفظها ويعتز بها ويرسل أبياتها في مناسبة وأخرى
من مناسبات الحياة : فيم الإقامة .. أعلل النفس .. حب السلامة .. وانما
رجل الدنيا .. •

ولا شك في أن حفظ اللامية بهذا المعنى ، يدل على أن الناس قدروها
بأمور هي خارج طبيعة العمل الادبي ، خارج الفن وما حفلت به هذه
القصيدة من جلال في التراكيب وفي العواطف ، وفيما عبر به صاحبها عن
حالات نفسية عاناها ومتناقضات أثقلت كاهله •

ولم تكن اللامية وحيدة في هذا الباب ، فان أكثر الشعر العربي الذي
تناقلته الاجيال الاخيرة كان بمقياس خارجي يتصل بالحكم والامثال او
بالجناس والطباق .. ولقد « خلد » هذا المقياس كثيرا من الشعر الرديء
وعفى على كثير من الشعر العالى •

حتى كانت النهضة الحديثة وأعيد النظر في المقاييس .. •
وصحيح ان في اللامية حكما وأمثالا ، ولكننا لا نعجب اليوم بها لمجرد
وجود الحكم والامثال ، ولا نعد ذلك سزا في خلودها • ان خلود اللامية
يكمن في عمق التجربة والعواطف التي عبرت عنها بقدرة وتمكن •

ان هذه العواطف والحالات النفسية التي هي عواطف رجل بعينه

(١) ذكر القمى ٢ : ٤٠٨ « انها قصيدة فائقة اعتنى بها الفضلاء
ويجري ذكرها في اندية الادباء » •

عاش في القرن الخامس - السادس للهجرة ، انها من القوة بحيث يحسن أنفسهم فيها ملايين الناس في مشارق الارض ومغاربها ، فاذا أصابهم الخير وجدوا أنفسهم فيها ، واذا أصابهم الشر وجدوها كذلك . انها تجربة خاصة ، ولكن صاحبها كان من القوة والعنف بحيث اكسب هذه التجربة الشمول والدوام ، وبحيث دل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته في نفسه .

(٥)

اللامية من القصائد القليلة التي لقيت عناية مدهشة لدى الشراح حتى زادت شروحها على العشرة^(١) .

(١) شرح أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦^(٢) .
 (٢) شرح صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ . وهو ضخمة يقع في جزئين . طبع للمرة الاولى عام ١٢٩٠ ، وللثانية عام ١٣٠٥ وتبلغ صفحات هذه الطبعة ٥٤٤^(٣) . وقد ذكره الصفدى في الوافى عندما ترجم للطغرائى وتحدث عن اللامية فقال : « وقد وضعت عليها شرحا في أربع مجلدات »^(٤) .

(٣) شرح الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى عام ٧٣٩ . وهو تلخيص لشرح الصفدى . منه مخطوطتان في كمبرج ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ . ذكر فيه الدميرى « ان الصفدى لم يفادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها غير انه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة

(١) اورد أكثر هذه الشروح حاج خليفة ، باب اللام ، ١٥٣٦ - ١٥٣٧ (= ٥ : ٢٩٢ - ٢٩٥ ط.فلوجل) . وأشار بروكلمان الى عدد من نسخها المخطوطة .

(٢) منه نسخة غير كاملة فى الاسكوريال ، وينظر دربنوروك ، ٢٠٤ .
 (٣) طبع بعنوان « الغيث المسجى فى شرح لامية العجم » ، ورد اسمه لدى حاج خليفة ، طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) وفى بعض الشروح الاخرى على : « الغيث الذى انسجم ٠٠٠ » . ينظر عن الصفدى ، العسقلانى ٢ : ٨٧ : السبكي ٦ : ٩٤ .
 (٤) الوافى ١١ : ٥٩ .

ومن نكتة الى نكتة .. فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه « فخصه •
(٤) شرح بدرالدين محمد بن أبي بكر (بن عمر) بن محمد بن
سليمان المالكي الدماميني المتوفى سنة ٨٢٨ • واسم الشرح : « نزول الغيث
الذي انسجم على شرح لامية العجم • منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ،
رقم ٩٠٤١ ، ومخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٠٦ تقع في ١٢٥ ورقة •

جاء في مقدمته : « •• أما بعد •• فان بعض سكان الاسكندرية ممن
يزعم انه من طلبة العلم •• شاهدته يطنب في شكر الكتاب الذي وضعه
صلاح الدين خليل الصفدي شرحا على لامية العجم ويرى انه حلو في
الذوق ، خلو من العجم •• فكنت أود لو وقفت على هذا الكتاب لأقضي
منه الوطر •• فلما ارتحلت الى الديار المصرية في أواخر سنة ٧٤٩ وقفت
عليه وقوف منتقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الانصاف منكب عن
طريق الحيف فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب خطبا جليلا •• فأردت أولا
نبذ هذا الكتاب وطرحه •• ثم اردت في الوقت الحاضر تبكيث ذلك
الكاذب •• فكثبت في هذه الاوراق ما تيسر من الاعتراضات التي عرضت
والانتقادات الصحيحة التي آلت المعاند وأمضت •• وحيث كان ذلك
التصنيف موسوما « بغيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم » رأيت
ان اسمي هذه المناقشات « بنزول الغيث » لانها التي انزلته الى الحضيض
وأوقعته من اعتراضاتها في الطويل العريض (١) ••
ويسير في المناقشات وكلها في النحو والعروض واللفظة والبديع
لا تمس اللامية ولا تتصل بها (٢) •

(٥) قطر الغيث المسجم في شرح لامية العجم للشيخ عبدالرحمن

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن •

(٢) في هامش ص ١٢١٢ من سرقيس : « ••• منه نسخة نفيسة
في الخزانة التيمورية وثلاث نسخ •• في دار الكتب المصرية • ورد على
الدماميني علاء الدين ابن اقبيرص •• المتوفى سنة ٨٦٢ في كتاب سماه
تحكيم العقول بأقول البدر بالنزول • « الخاقاني ، منه نسخة في المكتبة
العباسية •

الشافعي •• الطيب •• مقتديا بالصفدي والدميري^(١) •

جاء في مقدمته : « •• أما بعد •• فإنه ما خفى على سرة الادب •• من أن الشيخ الصفدي •• أتى في شرح لامية العجم بفضلات غير ملائمة لشدة شغفه بالكثرة •• وقد رُسم لي أن اختصر هذا الشرح •• وكان الشيخ قد سمي شرحه « غيث الادب الذي انسجم » ولكن ما انتظم له انسجابه • وقد اسمت مختصرى هذا « بروق الغيث » وهو البروق التي تومض من سواد السطور في حادس الظلام ، ولم أورد من غيث الادب الا ما تروى به أذواق من تأدب لتلا يقال ان في بروق هذا الغيث برقاً خلباً • فان علامة العصر القاضى بدرالدين الدماميني المالكي المخزومي فسح الله في أجله تقدمنى في تصنيف كتاب سماه نزول الغيث •• »^(٢)

منه مخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٣٦ • وقد طبع في بولاق سنة ١٢٥٠

وانتفع به H. Van der Slooot

(٦) شرح علي بن قاسم الطبرى^(٣) واسمه « حل المبهم في شرح

لامية العجم » •

(٧) شرح أبى جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجى ثم المراكشى ، واسمه « ايضاح المبهم من لامية العجم » • وقد جاء في مقدمته : « •• وبعد •• فان اللامية •• اشتمل عقدها من نفيس المعانى على درر مكنونة •• بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل ، فمن مقصر مخل ، ومن مطول ممل • فأشار من تعين على طاعته عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها •• سميته ايضاح المبهم من لامية العجم •• وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الاعظم •• السلطان أبى العباس أحمد بن مولانا الملك الاشرف أبى عبدالله محمد

(١) طبع على هامش « نفحات الازهار على نسيمات الاسحار في مدح النبى المختار لعبدالنبى النابلسى » ، فى بولاق ودمشق ١٢٩٩/١٨٨٧ •

(٢) مخطوطة ليدن •

(٣) يذكر حاج خليفة انه توفى فى حدود ٦٨٣ •

الشريف الحسيني .. (١)

منه مخطوطتان في ليدن ٦٥ ، ٧٧٧ • وقد وردت « أبي جمعة » على
« ابن جماعة » وفي كشف الظنون •

(٨) شرح الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي
المتوفى سنة ٩٣٠^(٢) مسموما بالهند • وسماه « نشر العلم في شرح لامية
العجم » أوله : « الحمد لله الكريم المنان .. » « ذكر فيه انه جرد أكثره
من شرح الصفدي واختار محاسن شعره ، واقتصر منه على ما يتعلق بشرح
القصيدة وذكر فيه ان الصفدي شرحها فأوعى وأوعب ، وأطب وأسهب ،
وأعجب ، وأعرب ، وأطلق أغنية الأقلام وجرد أذيال فضول الكلام ،
وأسهل وأوعر وأنجد وأغور ، واستطرد من فنون الى فنون ، واسترسل
في شجون من الجذ والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للعجز عن
التحصيل ، هذا مع ما خرج فيه عن الحد ، وطفى الماء في المد من مستهجنات
هزله التي لا تليق بقلمه وفضله بما لا يحل ذكره • بل تخل بالعدالة روايته
وسمائه .. (٣)

مخطوطاته في عدة مكاتب • وقد طبع في القاهرة أكثر من مرة •
(٩) بروق الغيث لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ • منه نسخة
في ليدن رقم ١٠٣٦ •

(١٠) شرح جلال بن خضر الحنفي ، ألفه بقسطنطينية في محرم
٩٦٢ • أوله « جهداً لمن هدانا بأوضح تبيان .. سماه نبذ العجم عن لامية
العجم • وهو شرح مفيد متوسط ، أكبر من شرح أبي جمعة بقليل » (٤) •
منه نسخة في كمبرج ، رقم ١٠٥٧ ونسخة (ناقصة) في المتحف
البريطاني رقم ٣١٦٤ • وجاء في مقدمته : « .. التمس مني بعض الفضلاء

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن ٧٧٧ •

(٢) وروى ٩٣٩ • قال سر كيس ٥٣٢ - ٥٣٣ : ولد عام ٨٦٩
بحضرموت ، وسلك السلوك في التصوف ، توفي عام ٩٣٠ وطبع نشر العلم
بمط • كاستلي سنة ١٢٣٨ وبالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩ ، ١٣٢٠ •

(٣) حاج خليفة •

(٤) حاج خليفة وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » في ط •
استانبول ، وابن الجماعة في ط • فلوجل •

الفخام والادباء الكرام من أعيان الروم •• أن أشرحها شرحا ليس بالطويل
الممل •• ولا بالتقصير المخل •• فاعتذرت •• فلما لم تقبل هذه الاعتذار ••
التمست شرحاً من شروحها لأحدو حدوه •• فسألت عن ذلك جمعاً من
الاعيان والاخلاء والاخوان •• فلم يجب أحد عنه •• وكان ربوع هذا العلم
قد درست عليه الدارسات •• فاستخرت الله •• وشرعت •• (١)

(١١) شرح حسين الكفوي • جمعه من الشروح ، كشرح الصفدي
وشرح القاضي جلال الدين المدني • وذكر اعتراض الدماميني باسمه •
منه مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٢٣٣٥٩٤ وتشير الى أن
الشارح كان بمكة •

(١٢) حاشية الشيخ عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباس المتوفى سنة
٩٦٣ على شرح الصفدي (٢) •

(١٣) الأرب من غيث الادب ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ •

(١٤) شرح الميناوي •

تحفة الرائي للامية الطغراني • طبع في القاهرة (بولاق) ١٣١١ •

لقد انتشرت اللامية وشروحها في العالم ، ولا تخلو اليوم مكتبة تعني
بالمخطوطات من شرح أو أكثر من شروحها •

لقد شرحت هذه الكتب اللامية ، وبلغ شرح الصفدي درجة من
الضخامة تدعو الى العجب • فماذا فعلوا ؟ انهم يبدأون بتفسير المفردات
تفسيرا قاموسيا ثم يعربون أعرابا مدرسيا ثم يلخصون مجمل معنى البيت وقد
يستشهدون بأبيات من هذا الشاعر او ذاك لكل مناسبة •

وربما كان العكيري أول من سن هذا المنهج في شرح اللامية • ولقد
بالغ الصفدي فيه • ولك أن تسأل ماذا في شرح الصفدي ؟ وكيف تسنى
له ذلك ؟ ولو شئنا القسوة - أو المداعبة - لقلنا : ان في شرح الصفدي للامية

(١) مخطوطة لندن و ١٤ •

(٢) في طبعة فلوجل لكشف الظنون ••• العباسي •

كل شيء الا شرح اللامية • ذلك انه اتخذ القصيدة وسيلة لغاية أبعد ليست من اللامية في شيء ، لقد كان يخرج لمناسبة وغير مناسبة ليحدثك عن المصدر وحروف الجر والخسوف والكسوف والافلاك وما قاله فلان وفلان قبل الطغرائي ، وما قاله فلان وفلان بعد الطغرائي ؛ وقد ضاعت اللامية في هذا الخضم المضطرب •

وقد تنبه القدماء الى مساويء شرح الصفدي هذا فعملوا الملخصات^(١) والقوا شروحا نزهوها من الاستطراد والاطالة • ذلك انك مهما تقل في الحظ من شرح الصفدي لا تستطيع ان تدعى انه مما يستغني عنه طالب العلم بمفردات اللامية واعرابها ومعاني آياتها ، فلا بد من تجريدها • ولقد استعنا به - كما رأيت في حواشي النص الذي اثبتناه للقصيدة - استعانة كبيرة • على انا لا نعد - اليوم - شرح الصفدي والشروح الاخرى شروحا بالمعنى الصحيح • انه مقدمة للشرح ، واعانة على الشرح • ان الشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها ومدى اعرابها عن حالته النفسية وصلة المقطع منها بالمقطع والبيت بالبيت •

وانك لتبحث عن هذا فلا تكاد تجسد له مكانا في ذلك الخضم من الشروح التي تتحدث وتطيل الحديث دون ان تربط وان تصل • ولو قيض للصفدي الامام بهذا المنهج الذي نريده لأفادنا كثيرا ، ولحفظ لنا أمورا يصعب علينا ان ندعى العلم بها • عن بغداد عام ٥٠٥ ، عن العطل الذي أصاب الشاعر ، عن الاصدقاء الذين تنكروا ، عن أصبهان ومن بقي فيها من آل الشاعر وذويه ، ولوقف عند « دولة الاوغاد والسفل » •

انا اذ نشئت مع الصفدي في الحساب نكون قد حاسبناه على ما لا قبل له به ، فهو رهين عصره •

ولقد تلقف اللامية بعده كثيرون ، شرحوها ، واختاروها^(٢) ، واستشهدوا

(١) يذكر الخاقاني ان في المكتبة العباسية ملخصا للصفدي لخص به « الغيث » في أربعة أيام ••

(٢) وممن اختارها السيوطي في الكنز المدفون ، ١١٢ - واحمد اليمني الشرواني احد ادباء القرن الثالث عشر للهجرة في كتابه « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » وطبع مرارا ، ينظر سركييس ١١٢٠ •

بأبياتها^(١) وأدخلوها المدارس الحديثة^(٢) ولكنها لم تلق حظاً من الدراسة والتحليل ووعد اسماعيل مظهر بدراستها^(٣) في ضوء ما سماه « هدوء النفس الثائرة » فلقد قال ان في شعر الطغرائي « الثورة يخيم عليها هدوء نفسي قلما تأنسه في شاعر غيره • وعندى ان هذه الصفة لم تتجل في شعر الطغرائي بقدر ما تجلت في لاميته المعروفة •••• » •

لقد وعد اسماعيل مظهر ان يدرسها في ضوء جديد ودل وهو يمهد على اعجاب بها وفهم لاسرارها ولكننا - لسوء الحظ - لم نقف على جواب لوعده •

ولون آخر من العناية التي لقيتها اللامية والتي تدل على اهتمام الناس بها ، واعجاب الادباء **التشطير والتخميس والمعارضة** وما اشبه •
وروى الصفدي : « انشدني لنفسه من لفظه المولى نورالدين علي بن محمد بن فرحون المالكي اليعمرى المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها ، وهذا قصد ظريف • ومما انشدني قوله :

(١) تنظر - مثلا - جريدة الشرق ، العدد ٩ ، ٥٣ سنة ١٩٢٠ : الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٤٦٩ سنة ١٩٢٤ •••
واتخذ طه حسين البيت : « أريد بسطة كف ••• » موضوع حوار بين التلميذ الفتى واستاذه الشيخ في « جنة الشوك » (رقي ١٠٦) •
(٢) نصت عليها أو اختارتها واختارت منها أكثر كتب تاريخ الادب التي ألفت في العصر الحديث ، اتماما لمسيرتها وزيادة في حلقاتها على الزمن ولا غرو فاكثرت من الف ، واوائل من الف مخضرمون عاشوا اعقاب العصور القديمة وبدأوا العصر الجديد ومن هؤلاء البارودي (المتوفى سنة ١٣٢٢ ، مختارات ١ : ٨٧ - ٨٨ : الهاشمي (سنة ١٣١٩) ، المرصفي ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٨ (سنة ١٩٠٨) ، زيدان ٣ : ٢٣ (سنة ١٩٣١) •••) ، الزيات ، ٢٨٢ (ط ، ٦ ، ١٩٣٥) الاثري (وجماعة) ، الاساس ، للصفوف الرابعة الاعدادية ، ١٤٧-١٤٦ (سنة ١٩٥٢) •••
(٣) مظهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ ص ١٠٠٥ - ٦ •

أصالة الرأي صابتنى عن الخطل وسرعة الحزم ذاتنى عن المذل
وحلة العلم اغتنى ملابسها وحلية الفضل زاتنى لدى العطل
مجدى أخيرا ومجدى اولا شرع وسؤددى ذاع فى حل ومرتحل
وهمتى فى الغنى والفقير واحدة

والشمس رآد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لاسكنى دان ولا انا فى عيش بها خضل
وليس لى ارب فيها ولا خولى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى « (١) »

وقال « زعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافي هذه القصيدة من
اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة فى غاية
الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقلة ولا نافرة ومعانيها
بليغة غير ركيكة وقوافيها فى غاية التمكن » (٢) .

وأورد أبياتا فى معرض مدحها والثناء عليها يمكن ان تكون ضربا من
المعارضة فى الوزن والقافية :

فما لها فى الورى مثل يناظرها وكم لها سار بين الناس من مثل
اقمارها فى تمام النظم قد طلعت تسير فى أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تندى غضارته لأن منبته فى روضها الخضل
يرتاح سامعها حتى يهز لها من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعبر غيرها سمعا ولا بصرا

« فى طلعة الشمس ما يفنيك عن زحل » (٣)

على ان الصفدى - وهو المعجب المستهام باللامية - عارضها وكان مما
قال (٤) :

(١) الصفدى ١ : ١٨ .

(٢) نفسه ١ : ١٣ .

(٣) نفسه ١ : ٣ .

(٤) الشروانى ، نفحة اليمن ، ٤١٥ : الهاشمى ، جواهر الادب
(فرغ من جمعه سنة ١٣١٩) . وليلاحظ ان الصفدى لم يشر فى « الغيث »
الى معارضته .

الجَدُّ في الجِدِّ والحرمانُ في الكسل

فانصب تُصب عن قريب غايبة الامل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به
وجانب الحرص والاطماع تحفظ بما
ولا تكونن على ما فات ذا حزن
واستشعر الحلم في كل الامور ولا
وان بُليت بشخص لا خلاق له
ولا تمار سفيها في محاوره
ولا يفرّك من بيدي بشاشته
وان اردت نجاحا كل آونة
ان الفتى من بماضي الحزم متصف
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
ولا يضيّع ساعات الزمان فلن
ولا يراقب الا من يراقبه
ولا يعد عيوباً للورى أبداً
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً
ولا يؤمّل آمالاً بصبح غد
ولا يصد عن التقوى بصيرته
فمن تكن حلة التقوى ملابسه
من لم تفده صروف الدهر تجربة
من سألته الليالي فليثق عجلاً
من ضيّع الحزم لم يظفر بحاجته
من جاد ساد وحي العالمون له
من رام نيل العلى بالمال يجمعه
من لم يصن نفسه ساعات خليفته

صبر الحسام بكف الدارع البطل
ترجو من العز والتأييد في عجل
ولا تظلل بما اوتيت ذا جذل
تسرع ببادرة يوماً الى رجل
فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا حليماً لكي تقصى عن الزلل
اليك خدعاً فان السم في العسل
فاكتم أمورك عن حافٍ ومتعل
وما تعود نقض القول والعمل
حتى يقدّ أديم السهل والجبل
يعود ما فات من أيامه الأول
ولا يصلح الا كل ذي نبل
بل يعتني بالذي فيه من الخل
بل التجارب تهديه على مهل
الا على وجل من وثبة الاجل
لانها للمعالي اوضح السبل
لم يخش في دهره يوماً من العطل
فيما يحاول فليسكن مع الهمل
منها بحرب عدوٍ جاء بالحيل
ومن رمى بسهام العجب لم ينل
بديع حمدٍ بمدح الفعل متصل
من غير حلّ بلى من جهله وبلى
بكل طبع ردى غير منتقل

من جالس الوغد والحمقى جنى ندما لنفسه ورمى بالحادث الجلل
فيخذ مقال خير قد حوى حِكما اذ صُغته بعد طول الخُبر في عملي
والحكم ، والدعوة الى الصبر والحلم والكمّان والحزم وما الى ذلك
مما طرب له اذ رآه في لامية الطغرائي .^(١)

وروى حاج خليفة : « اللامية في نظيرة لامية الطغرائي - للشيخ
غرس الدين خليل بن محمد الاقفهسي (المتوفى سنة ٨٢٠) ، على وزنها ،
اولها :

دع التشاغل بالانزلاق والغزل

يكفيك ما ضاع من أيامك الأول^(٢)

« وخمسها عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الربيعي البغدادي . .
وشهاب الدين أحمد بن عبدالله الاندلسي الوادياشي واجاد . وتوفى سنة
٧٣٩ ، (٣) .

وفي مخطوطة بالمتحف البريطاني : « هذا شفاء السقم . . في تخميس
لامية العجم »

العلم والعقل للانسان خير حلي فضلي كثار القرى ليلاً على جبل
وعند مكري سواء غامض وجلي اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الحلم زانتني لدى العطل^(٤)

وفي احدي مخطوطات المتحف البريطاني نقراً :

« هذه لامية العرب مبارية لامية العجم :

زيادة القول تحكى النقص في العمل ومنطق المرء يهديه عن الزلل

(١) ولندكر ان لامية الصفدي كانت سائرة .

(٢) حاج خليفة ١٥٤٠ .

(٣) نفسه ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ .

ومما يذكر ان حاج خليفة يذكر ص ١٥٣٩ : « لامية الروم لمحمد بن

محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحكم الحلبي ، اولها :

حتام انظم من دمعى ومن غزلى أدلة وحبیب القلب معتزلى .

ويتحدث عن لامية في العروض ولامية في القراءات ولامية في الكلام .

(٤) المخطوطة رقم ٧٤٣٣ ، و ٥٣ ب .

ان اللسان صغير جرمه وله جرم عظيم كما قد جاء في مثل ...
وتستمر في الحكم والجود والحلم ... (١)

وعارضها السيد أحمد الهاشمي وأثبت معارضته في كتابه « جواهر
الادب » - الذي فرغ من جمعه سنة ١٣١٩ :

عليك بالصبر والاخلاص في العمل ولازم الخير في حلِّ ومرتحلِ

* * *

لا تطلب العز في دارٍ ولدت بها « فالعز عند رسيم الأنيق الذلل »

* * *

وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم الى الطفأة شرار الناس والسفل

* * *

فقد فقدت الألى كانت يبهجتهم نور النواظر في الاحداق والمقل

* * *

خذها مجبّرة غيداء غاينة أتت على عجل كالقابس العجل

جاءت من « الهاشمي » لا تتغى مهرا من خاطب لبنات النظم في عطل (٢)

والقصيدة دليل آخر على ذوق العصر وعلى مدى ما فهمه المعجبون

من لامية الطغرائي . وكثيرا ما ضمن الهاشمي اعجاز لامية الطغرائي .

ولا شك في أن هناك معارضات أخرى ؛ وخير معارضة - فيما نعلم -

لامية البارودي (٣) :

قلدتُ جيد المعالي حلية الغزل وقلت في الجدي ما أغنى عن الهزل

بأبي لي الغيِّ قلب لا يميلُ به عن سرعة المجد سحر العين النجل

أهمُّ بالبيض في الأعماد باسمه عن غيرة النصر لالبيض في الكلال

(١) من المخطوطة ٧٥٩٨ و ١٨٠ -

وينظر الشرواني ، نفحة اليمن (ينسبها لصاحبها) .

(٢) الهاشمي ، جواهر الادب ، باب الحكم .

(٣) ديوان البارودي ٢ : ٢٠٧ - . ويذكر الشمايح انه قالها على

قافية وروي لامية العجم للطغرائي .

لم نلهمني عن طلاب المجد غانية
 كم بين منتدب يدعو لمكرمة
 لولا التفاوت بين الخلق ما ظهرت
 فانهض الى سهوات المجد معتليا
 ودع من الأمر أدناه لا بعده
 قد يظفر القاتك الأولى بحاجته
 وكن على حذرٍ تسلّم فراب فتى
 ولا يغرنك بشر من أخى ملق
 لو يعلم المرء ما في الناس من دخن
 فلا تنق بوداد قبل معرفة
 واخس النسيمة واعلم أن قائلها
 كم فرية صدعت أركان مملكة
 فاقبل وصاتي ولا تصرّفك لاغية
 اني امرؤ كفتنى حلمي وأدبني
 فما سرّيت قناع الحلم عن سفه
 جلبت أشطّر هذا الدهر تجربة
 فما وجدت على الأيام باقية
 وانك لو اجد في هذه اللامية الفخر بالجد والطماح الى المجد وتلمس
 روح الحكيم المجرب الناصح بالعمل والحذر مع مسحة من الشكوى وشعور
 بالمرارة ؛ لكن ما يكاد يبلغ الحديث عن زمانه وسيرة حاكميه حتى
 يعلن ألمه الشديد ، وحزنه العميق على ما آلت اليه حاله وحال البلاد
 فيمنح أبياته كثيرا من العنف والقوة ، ولا تحس بأنه يعارض أو يقلد ،
 فكأنه انصرف الى ما هو عليه فأعرب عنه بتأثر وشدة فعل الشاعر الاصيل
 وكل ما يجمعه بالطغرائي جامع الشكوى والشعور بالضميم ثم الثورة :
 قامت به من رجال السوء طائفة أدهى على النفس من يؤس على نكال

(١) الأولى : الشديد الخصومة ، الصعب الخلق .

(٢) سرّيت : كشفت .

من كل وغد يكاد الدُست يدفعه بُغْضاً ويلفظه الديوان عن مال

* * *

قوم" اذا أبصروني مقبلا وجموا غيظا وأكبادهم تنقد من دَعَل^(١)

* * *

بُس العشير وبُشت مصر من بلدٍ أضحت مناخا لاهل الزور والخطل

أرض تائل فيها الظلم وانقذت صواعق الغدر بين السهل والجبل

وأصبح الناس في عمياء مظلمة لم يخط فيها امرؤ إلا على زلل

* * *

فبادروا الامر قبل الفوت وانترعوا شيكالة الريث فالدينا مع العجيل

* * *

عندي نصيحة من لا يبتغي بدلا بكم وهل بعد قوم المرء من بدل

وفي عنفوان هذا الانسجام وما هو فيه نسي الطغرائي ولايته فقال :

أسهرت جفني لكم في نظم قافية ما ان لها في قديم الشعر من مثل^(٢) .



وتأثر الغربيون بعناية العرب باللامية فعنوا بها وترجموها أكثر من مرة

وفي أكثر من لغة وبلاد . فلقد طبعها عام ١٦٢٩ Golius مع ترجمة

لاتينية وعنه ترجمها الى الفرنسية P. Vattier عام ١٦٦٠ . وقال كرنكو :

لعلها - أي اللامية - أقدم نص من الشعر العربي كان في متناول دائرة

واسعة من أوروبا . وأعاد H. Van der Sloot طبعها عام ١٧٦٩ في فرانكر ،

ونشرها مع ترجمة لاتينية E. Pocock عام ١٦٦١ في أكسفورد ، وأعاد

(١) دغل : حقد .

(٢) ينظر - فيما ينظر - للمعارضة ديوان الزهاوي ص ٣ ، ٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ واشد مقاطيع هذه اللامية ارتباطا بلامية الطغراني

ص ٤١ - ٤٢ :

يكفى لاطهار ما في النفس من دخل يوم من الحزن أو يوم من الجدل

وينظر الشيبيني ص ١٤١ .

طبعها J. Hirth عام ١٧٧٠ في Institutiones Arabicae, Jena
 و L. G. Pareau في اوترخت عام ١٨٢٤ •
 وترجمها الى الفرنسية Raux ونشرها في باريس عام ١٩٠٣ •
 والى الانكليزية J. D. Carlyle في كتابه « نصوص من الشعر العربي »
 المطبوع عام ١٧٩٦ باكسفورد • واعاد طبعها W.A. Glaunston في كتاب
 « الشعر العربي » المطبوع عام ١٨٨١ • وترجمها الى الانكليزية عن نص
 Pocock اللاتيني L. Chapellow وطبعها في كمبرج عام ١٧٥٨^(١) •
 ولقد اطلعت على عدد من الترجمات (الانكليزية والفرنسية) فلم
 اجد للمترجمين تعليقات تستحق الذكر ، واكبر الظن انهم اعجبوا لاجاب
 العرب بها ، وانهم نظروا اليها بالعقلية نفسها •

(١) كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغرائي ، المجلد
 الرابع ص ٨٢٧ • واسم كتاب كارلايل : Specimens of Arabic Poetry
 وكتاب كلوستون : Arabian Poetry ص ١٥٣ ، تنظر ٤٣٣ • وينظر
 بروكلمان ١ : ٢٨٦ - ٧ •

خاتمة

اعتزل الطغرائي الناس مدة بعد اللامية (٥٠٥هـ) ، ولكن طماحه أكبر من أن يدعه ساكنا قانعا فعاد الى الطغراء بل هاجر الى الموصل حيث الملك مسعود اخو السلطان السلجوقي (محمود) فاصبح وزيره ثم انضم الى الفئة المحرصة على محاربة السلطان مدفوعا بطماحه لان يكون وزير السلطان ، ووزير الوزراء ولكنه لقي حتفه عام ٥١٥ (على أصح الروايات) اذ امر السلطان بقتله بعد ان خافه ، وخشيت حاشيته فضله فاتهموه بالاحقاد والزندقة وما كان كذلك ، فذبح ظلما ومات شهيدا^(١) .

والمعجبون بفضله وبشعره غير قليلين ، وللمرء ان يسمع أحاديث المؤلفين على مر العصور ابتداء من العماد الاصبهاني ليرى مكاتته ومنزلته ؛ ولكن المعجبين باللامية اكثر واعنف ، ولقد رأينا اطرافا من ذلك الاعجاب الذي أدى الى الرواية والحفظ والاستشهاد والشرح والمعارضة ، وتواتر الشروح واتصل الاعجاب حتى عصرنا الحاضر .

لقد كانت اللامية يوما ما ، واذا أردنا التحديد قلنا : أيام عصر عرف بالفترة المظلمة ، احدى سمات المثقف ، واحدى القصائد التي احتلت المنزلة العليا وعدت « مهمات المتون » ونزلت منزلة « المعلقات » .

ولعلك تتذكر ان من تلك القصائد : بان سعاد ، وعينية البوصيري وهمزيته ، ولامية العرب ٠٠٠ واذا نسيت هذه أو تناسيتها بسبب أو آخر ، انك لا تنسى ولا تتعصب للامية تحكمت في عصرها وسيطرت عليه سيطرة تامة ، تلك هي « لامية ابن الوردى » - الامام سراج الدين (المتوفى سنة ٧٤٩) :

اعتزل ذكر الغواني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل^(٢) .

(١) الطاهر ١ : ٨٧ - ٩٦ .

(٢) ومما يذكر انه جاء على الصفحة ٣٣٨ من المجموع الذى طبعته الجوائب وضم - فيما ضم - ديوان « الشيخ الامام العلامة ٠٠ ابن الوردى ٠٠ » : « ومما ينسب اليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد فى ديوانه : اعتزل ٠٠ اللامية ٠٠ »

واخص ما يتميز به الذوق الذي أخذ بهذه القصائد ، خضوعه لسلطان
« الحكم والامثال » وما اليهما من نصائح وتوصيات ومواعظ في الاخلاق
والتقى ؛ اى انه كان يرى الشعر « تعليماً » ، ولا يشترط له ان يكون
شعراً •

لهذا ، لم يزهنا اعجابه بما سماه « لامية العجم » ، ولم يزهنا
المخضرمون الذين ورثوا هذا الاعجاب ؛ كما لم يزهنا اعجاب المستشرقين
الذين ترجموا - اذ ترجموا اللامية - قصائد على أكبر حظ من الرداءة
الفنية واقل نصيب من الشاعرية • لقد كان اعجابهم - او اهتمامهم - ان
شئت - قرينا لاهتمام المخضرمين وامتداداً لذوق الفترة المظلمة - وهذا
ما لا يشرف لامية الطغرائي كثيراً •

انا اليوم عندما نقرأ الطغرائي ونعجب بلاميته قد نكون اصدق نظرة
وأدق حكماً من اسلافنا ، فلم نعد نؤخذ بمكانة الرجل من الدولة والعلم
ولا بما للامية من فخامة اللفظ ووجوه البديع و « الامثال والحكم » فقط ،
انما يستهوننا - أول ما يستهوننا عمق التعبير واصالة الشاعرية والاطوار
النفسية التي يتقلب بينها الشاعر وهو يعرب عن اشد أزمة وقع فيها فاصابته
في صميم طماحه ، ولقد كان من القوة بحيث اعرب عن الآخرين وهو يعرب
عن نفسه • واذا اختلفنا واياه في هذا المعنى أو ذاك فيكفيه انه استوعب
عصره وعكسه مذاًبا في كلمه بتمكن و « استاذية » •

واذن ، فقد احتفظت اللامية بتقدير عصرنا الحديث واطاقت مقاييسه ،
ونجحت اذ سقطت معاصراتها - وعلى رأسها : « اعتزل ذكر الغواني
والغزل » ؛ وبقيت وحدها من تلك « المتون » مما يستطيع ان يدخل المجموعة
الجديدة التي يمكن ان نختارها اليوم لمهمات المتون في الشعر العربي •

لقد اجتازت لامية الطغرائي دور التجربة ، ودلت على انها تحمل من
عناصر الفن ما يحفظ لها البقاء طويلاً على مر الاجيال واختلاف الاذواق •

المصادر والمراجع

- آقا بزرك - الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج ٩ ، ق ٢ ، ط ١ ، طهران ، ١٩٥٩ .
- ابن حجة - بروق الغيث . مخ . ليدن ، رقم ١٠٣٦ .
- ابن جماعة - التعليقة ، مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣٣٦١ من فهرس دسلان .
- ابن خلكان - وفيات الاعيان ، القاهرة ، مطبعة الوطن ، ١٨٩٩ .
- ابن الدمياطى - ينظر الحسامى . . .
- ابن زاكور - كتاب تفريج الكرب عن قلوب أهل الادب فى معرفة لامية العرب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٢٨ .
- ابن كثير - البداية والنهاية فى التاريخ . القاهرة ، مط . السعادة ١٩٣٢ .
- ابن الوردى - ديوان ابن الوردى ، الاستانة ، الجواب ، ١٣٠٠ (ضمن مجموع اوله : لامية العرب ٠٠٠) .
- أبو الفدا - تاريخ ابى الفدا ، استانبول ١٢٨٦ / ١٨٧٠ .
- البارزى - مختصر الوفيات . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٢٠٦٠ .
- البارودى - ديوان البارودى ، مطبعة الجريدة (ضبطه وشرحه محمود الامام المنصورى - احد علماء الازهر) .
- مختارات البارودى ، القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٢٩ .
- البصير - عصر القرآن . بغداد (مط . المعارف) ١٩٤٧ .
- البندارى - زبدة النصره ، ليدن ، ١٨٨٩ .
- حاج خليفة - كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون . استانبول ١٣٦٠ / ١٩٤١ ، لندن (ط . فلوجل) ١٨٥٠ .
- الحضرمى - نشر العلم فى شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٩ .
- الحسامى - الاستفادة من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، مصور فى المجمع العلمى العراقى ، ٥٨م .
- حسن (محمد عبدالغنى) - معرض الادب والتاريخ . ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ .
- خضر (عبدالرحمن) - جريدة الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٦٦٩ ، بغداد ١٩٢٤ .

- الخاقاني (علي) - مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن ، بغداد ، ١٩٦١ .
- الخوانساري - روضات الجنات . فارس ١٣٠٤ .
- الدماميني - نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم . مخ . دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ . لندن ، رقم ١٠٠٦ .
- الدميري - شرح لامية العجم . مخ . كمبرج رقم ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ .
- الراوى (طه) - لامية العجم ، مجلة الصبح ، بغداد ، العدد ٥ - ٧ ، ١٩٣٦ .
- رضائي (علي) - عود الشباب (مختصر خريدة القصر للعماد) مخ . فينا رقم ٢٤٦ ، نور عثمانية ، مصورتان في المجمع العلمي العربي بدمشق .
- الزمخشري - أعجب العجب في شرح لامية العرب ، الاستانة (الجوانب) ١٣٠٠ . (ضمن مجموع اوله لامية العرب ٠٠)
- الزهاوي - ديوان الزهاوي ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
- السبكي - طبقات الشافعية ، القاهرة المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ .
- السمعاني - مذييل تاريخ السمعاني (مختصر) ، مخ . لندن ، ٢٦ .
- سركيس - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) القاهرة ١٣٤٦ / ١٩٢٨ .
- السويدي (عبدالله) - رشف الضرب من شرح لامية العرب ، مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٥ - م .
- السيوطي - الكنز المدفون ، القاهرة ١٢٨٨ .
- الشاوي (سليمان) - شرح لامية العرب ، مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٦ - م .
- الشبيبي (محمد رضا) - ديوان الشبيبي ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- الشرق - جريدة اصدرها حسين افنان ، بغداد ، العدد ، ٩ ، ٥٣ ، سنة ١٩٢٠ (الابيات الخالدة) .
- الشرواني - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن . كلكتا ١٨١١ .
- الشريف الرضي - ديوان الشريف الرضي ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت . ١٩٦١/١٣٨٠ .
- شيخو (لويس) - مجاني الادب ، بيروت ١٩٣٠ .
- الصفدي - كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٥ .
- الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، مخ . المجمع العلمي العربي بدمشق ، رقم ٨٧ .

- الصنهاجى - ايضاح المبهم فى شرح لامية العجم . مخ . المتحف البريطانى
 ٧٧٧ ، دار الكتب المصرية ١٠١٩ .
- طاشكبرى زادة - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ١٣٢٨ .
 الطاهر (على) - الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى
 ج ١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٨ .
- الشعر العربى ٠٠٠ ج ٢ ، بغداد ، مطبعة العانى ، ١٩٦١ .
- مقالة عن « حياة الطغرائى » فى مجلة الاستاذ ، المجلد السادس ،
 بغداد ١٩٥٨ .
- مقالة عن « شعر الطغرائى » فى مجلة كلية الآداب ، المجلد الاول ،
 بغداد ١٩٦٠ .
- الطغرائى - ديوان ، القسطنطينية ، مط . الجوائب ١٣٠٠ .
- ديوان مخ . المتحف البريطانى رقم ٧٥٥٨ .
- ديوان مخ . استانبول ، راغب باشا ، رقم ١١٠٧ .
- طه حسين - جنة الشوك ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- العاملى (محسن) - اعيان الشيعة الجزء الـ ٢٧ ، دمشق (مطبعة الاتقان)
 ١٩٤٨ .
- العسقلانى - الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٩ - .
- العماد (الاصبهانى) - خريدة القصر (فى عود الشباب لعلى رضائى) .
- نصره الفترة وعصره القطرة . مخ . باريس ٢١٤٦ .
- الفاخورى (حنا) - تاريخ الادب العربى ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ .
- القلقشندى - نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم
 الاييارى ، القاهرة ١٩٥٩ .
- القصى (عباس) - الكنى والالقب ، صيدا (مطبعة العرفان) ١٣٥٧ - ٨ .
- الكفوى - شرح لامية العجم ، مخ . المتحف البريطانى ٥٩٤ ٢٣ .
- الكنعانى (نعمان) - شعراء الواحدة ، بغداد ، ١٩٤٥ .
- المرصفى (محمد حسن) - ادب اللغة العربية ، القاهرة (المطبعة الحسببيه)
 ١٩٠٨ .

- مظهر (اسماعيل) - مجلة الرسالة ، القاهرة ، السنة السادسة ، ١٩٢٨ ،
 العدد ٥٢٩ باب : تأملات في الادب والحياة ، الطغرائي الشاعر
 • الميناوي - تحفة الرائي للامية الطغرائي • القاهرة (بولاق) ١٣١١
 • الوهابي (خلدون) - مراجع تراجم الادباء العرب ، ج ٣ ، النجف ١٩٥٨
 • الهاشمي (أحمد) - جواهر الادب • القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨
 • ياقوت (الحموي) - معجم الادباء (ارشاد الاريب) ، القاهرة ، دار المأمون

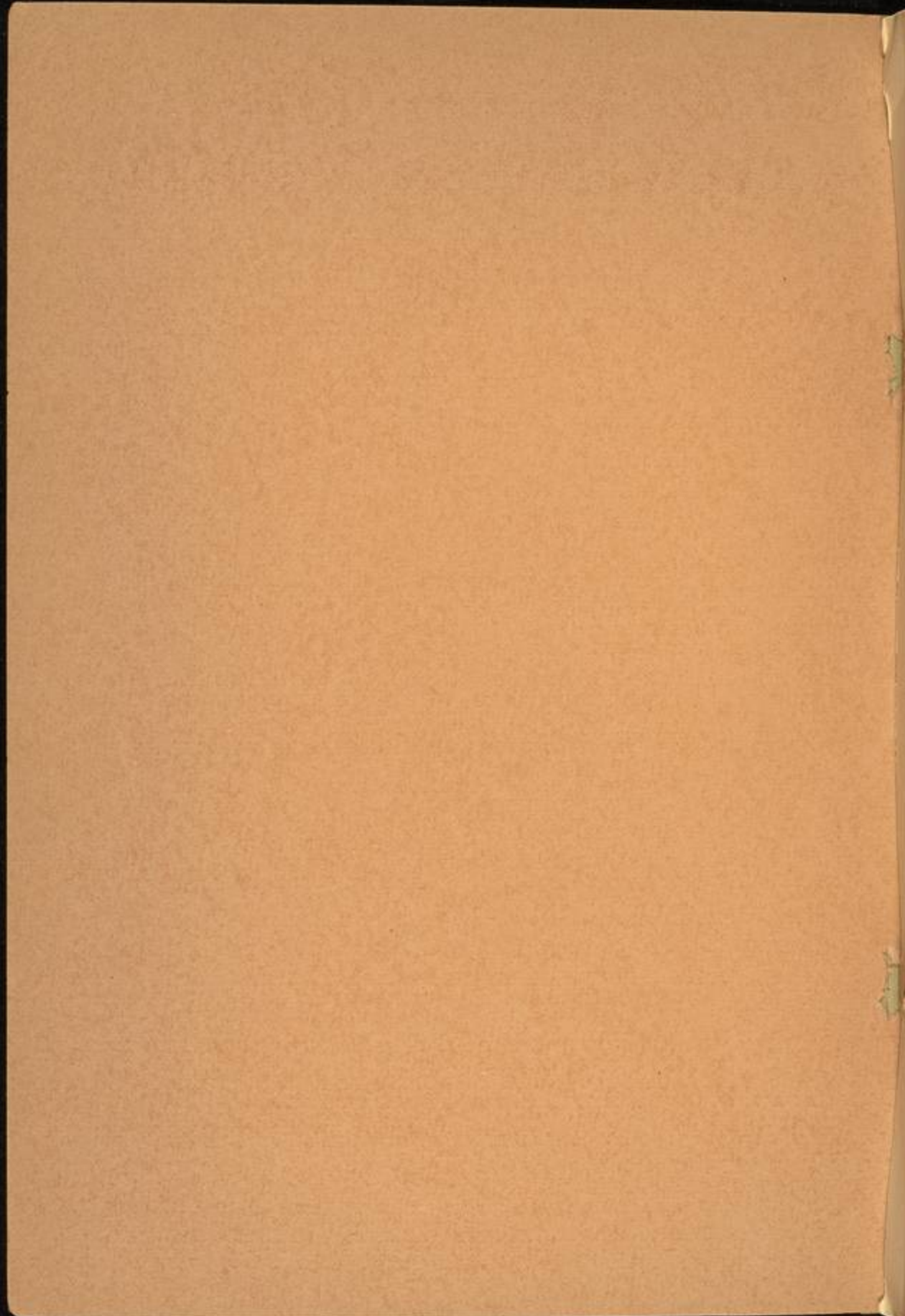
مراجع بلغات اجنبية

- Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed.
 Leyde 1943; 2 Vol. in 8e
 ——— Supplementand. heyde 1937, 3 Vol.
 Chapellow — The Traveler ... (Togroi). Cambridge, Mdcclviii
 Derenbourg — Les Man uscrits Brabes de L'Escorial, Paris, 1884
 Glouston (W.A.) — Arabian Poetry, Glasgow 1881.
 Huart — Littérature Arabe, paris, 1902.
 Krenkow — Encyclopdia of Islam, ar. Tograi
 Raux (A) — La Lamiyyat al-Adjam d'et-Togü Paris, 1903.

الفهرست

مقدمة	١
٢ - ٨ (١) العصر والشاعر ورموز التحقيق	
٩ - ١٨ (٢) النص محققا	
١٩ - ٢٦ (٣) النص محللا	
٢٧ - ٥٤ (٤) تعقيب ومناقشة	
(١) ٢٧ - رد معاني اللامية الى أصولها	
(٢) ٣٤ - في البلاغة واللغة	
(٣) ٣٥ - ليست لامية للعجم	
(٤) ٣٩ - لماذا تناقشتها الالسن	
(٥) ٤١ - شروح اللامية	
٤٧ - معارضتها .	
٥٣ - ترجمتها .	
٥٥ - ٥٦ خاتمة	
٥٧ - ٦٠ المصادر والمراجع .	





4-8

ברית
ב



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 02886 0073

PJ7755.T8 L3

Lamiyat al

EAST